روايات أحلام

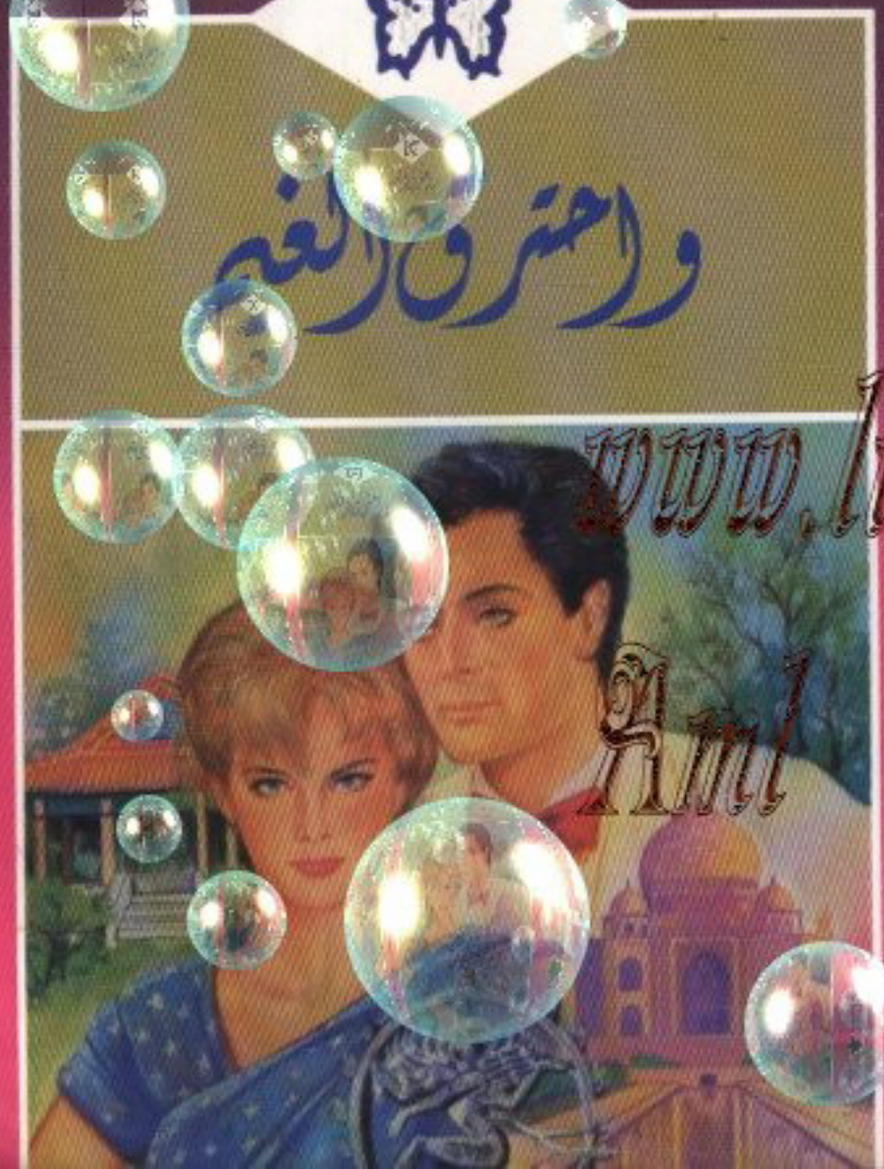

www.liilas.com

واحترق الغيم

روايات أحلام

واحترق الغيم

«لك مكان في حياتي، إنما ليس في قلبي!»، قانون سنّه لحياته برايس هندريكس الكاتب المشهور، وحاولت أليكسا أن تحترمه ولكن سحر برايس فاق قدرتها فرفعت الراية الحمراء، راية العواطف.

بدأت القصة في سيلان، حيث تحولت عطلة أليكسا مع أبيها إلى كارثة، ولكن برايس أنقذها واستضافها في بيته لتكون رفيقته ومساعدته، ليس أكثر...

رفع برايس بينهما حواجز لا يمكن تجاوزها، ففضلاً عن كيفن الصديق الذي فرضه عليها، كان هناك هيما الفتاة السيلانية الجميلة القريبة دائماً منه.

كان كل هذا كافياً لتفهم أن لا مكان لها في قلبه أو في حياته، وأن عليها أن ترحل...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. | الإمارات ٦ د.إ. | مصر ٤ ج. | ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س. | قطر ٦٠٠ ر. | تونس ٥
الأردن ١ د. | البحرين ٦٠٠ ف. | السودان
الكويت ٥٠٠ ف. | السعودية ٧ ر. | عمان ٦٠٠ ب. | العراق

www.liilas.com

Aml

١ ـ طريق إلى الهاوية

كان المنظر من شرفة الفندق يخطف الأنفاس، فهو يطل على واد أخضر عميق غني بالأشجار الغريبة الاستوائية بالإضافة إلى أشجار نخيل جوز الهند الباسقة التي تتهادى مع النسيم. كانت بيوت صغيرة بيضاء ذات سقوف من سعف النخيل، أشبه بنقاط بيضاء على جوانب التلة، وتتكاثف في الأراضي المنخفضة حيث تتجمع حول المعبد المزخرف الوردي الجدران، الظاهر جزئياً من بين الأشجار. أشيد المعبد على جانب بحيرة هادئة خضراء، بناه ملك قديم لزوجته الملكة، لكنه كان يحتفظ بالحريم المكوّن من المحظيات الجميلات في جزيرة تقع في منتصف البحيرة. والحريم يتصل بالقصر بممر تحت الأرض..

أطلقت أليكسا ويلموت تنهيدة سعادة طويلة، كانت عيناها الزرقاوان تنهلان بشغف من هذا المنظر. تهادت رائحة الزهور نحوها. هامت للحظة معتقدة أنها وجدت شيئاً مألوفاً في ذلك العطر ثم تلاشى، ولكنها رغم محاولتها لم تستطع تذكر ماهيته. كانت الشمس حارة على ذراعيها، مع أن الوقت تجاوز الظهر. تراجعت تحت ظلال السقف المثلث الزوايا القرميدي اللون، وجلست في كرسي من الخيزران.. كانت متعبة بعد السفر الطويل ولكنها تحمست للمنظر المترامي أمامها إلى درجة لم ترغب معها في الراحة.. وكانت تحس بالانفعال أيضاً..

الانفعال بسبب فكرة العودة، مع أنها حتى الآن لا تكاد تصدق أنها حقاً هنا، في سيلان، هذه الجزيرة الجميلة، المتدلاة كقرط من الجواهر، من أذن الأرض الأم، الهند.

لقد ولدت في سيلان قبل عشرين سنة.. لكن الجزيرة يومذاك كانت جزءاً من الكومونولث البريطاني، ولم تكن جمهورية مستقلة. نعم هي لا تتذكر البلاد كثيراً في طفولتها، فقد أعيدت إلى بريطانيا لتقيم في مدرسة داخلية وهي في السابعة، وأمضت عطلاتها مع خالتها لأنها كانت أصغر من أن تسافر بمفردها. ولكن، ما إن بلغت الحادية عشرة حتى انضمت إليها أمها في انكلترا، تاركة والدها في الجزيرة وحده لأنها لم ترجع إلى هناك بعد ذلك.

كانت ذكريات اليكسا عن تلك السنوات مغشاة غير واضحة وقد دفعتها وراء ظهرها كحال المرء عندما يريد تنحية ذكريات مؤلمة غير سعيدة.. لكنها تتذكر ذكرى واحدة بوضوح شديد.. يوم جاء أبوها في عطلة، ووقع شجار رهيب، لأن أمها رفضت أن تترك انكلترا وأن تعود معه.. طالما كان رجلاً عنيف الطباع يومذاك خرج غاضباً من المنزل.. ومذ ذاك الحين لم تره أية واحدة منهما حتى توفيت والدتها عندما بلغت الخامسة عشرة. يومذاك عاد ليحضر الجنازة.. في ذلك الوقت، عاد ليعيش في انكلترا حيث راح يعمل في مكتب الشركة في لندن، وقد كره كل دقيقة قضاها في انكلترا.. لكن وظيفته كمدير لأملاك واسعة من مزارع الشاي الضخمة في سيلان، ضاعت، بعد تأميم المزرعة على يد حكومة الجمهورية الجديدة. هكذا، مرت السنوات دون أن يتم بينهما أي اتصال فباتا كالغريبين.. حاول والدها كثيراً، ولكن اليكسا كانت تشعر بخسارة حب أمها ودعمها لها، لذا رفضت بكل برود حب شخص آخر ودعمه. هكذا، عاشا مفترقين إلا من تبادل بطاقات المعايدة، الواجبة في الأعياد، اعترافاً بنوع ما من

العلاقة.

قطع عليها صوت من الغرفة المجاورة أفكارها، وجعلها تنظر إلى ساعتها.. كانت جالسة على الشرفة تحلم منذ وقت طويل، بحيث آن الأوان لتبدل ملابسها للعشاء. عادت بسرعة إلى غرفتها حيث خلعت الجينز والقميص اللذين ارتدتهما في لندن. لقد كانت رحلة طويلة: أربع عشرة ساعة من الطيران جواً تخلله توقف في زوريخ ثم في دبي، ومسيرة ساعتين ونصف في السيارة من مطار العاصمة كولومبو إلى الداخل، نحو التلال، وصولاً إلى هذا الفندق قرب بلدة «كاندي» التي ستكون مقراً لهما. كانت قد قلقت على والدها، وحاولت إقناعه بالبقاء في كولومبو ليلة، ولكنه أصر على متابعة السفر، قائلاً إنه يريد الانتهاء من مشاق السفر في أسرع وقت ممكن..

دست شعرها الأشقر الطويل في قبعة مغذة للحمام. شغلت صنبورة المياه فانبعث من الدوش القديم الطراز مياه ساخنة أدهشتها.. وقفت تحت الماء متسائلة عما إذا كان والدها على حق.. والدها! هزت رأسها بحيرة، يدهشها أن تكون هنا معه حقاً.. لقد حدث كل شيء بسرعة.. فقد ظهر فجأة على عتبة شقتها التي تتشاطرها مع ثلاث فتيات أخريات وطالبها، بطريقة أو أخرى، بمرافقته في رحلته هذه.. في البداية لم تعرفه.. بدا عجوزاً شعره البني أصبح رمادياً وعلى وجهه تجاعيد جديدة، بدت بشرته التي كانت يوماً سمراء نتيجة السنوات التي أمضاها تحت حرارة الشمس صفراء غير معافاة. كان رجلاً قوياً دائماً، ضخم الجثة.. لكن لحمه الآن التصق بعظام بدت ثقيلة عليه، بحيث انحنت كتفاه تحت ثقلها.

قال إنه كان مريضاً، وإنه يريد العودة إلى سيلان للاستشفاء. لكن طبيبه لن يسمح له بالذهاب إلا إذا رافقه من يعتني به.

شعرت بالشفقة عندما رأت التغير الذي طرأ عليه ولكن فظاظة

تصرفه أعادت إلى مشاعرها القسوة فاقترحت عليه استئجار ممرضة مدربة لتعنى به. ولكنه رفض، قائلاً إنه بصحة جيدة وإنه إنما يريد شخصاً ينظم له الأمور فقط.. وإنه لا يريد أو يحتاج إلى من يرافقه، بل إلى من يجعل الطبيب يغيّر رأيه.. وصدقته اليكسا، لكنها جادلته في مسألة مرافقتها له، مشيرة إلى أن لديها عملاً لا تستطيع أخذ فرصة غير محددة منه، وأنها تدرس مساء. ولكنه واجه كل احتجاجاتها بإيماءة تذكرها منذ أمد بعيد.. فلتتخلَ عن وظيفتها ولها عليه أن يدفع جميع نفقاتها بما في ذلك أجرة الشقة. أما الدراسة فاقترح عليها أن تحمل كتبها معها إلى سيلان وهناك تلتحق بدورات خاصة تعوضها عما ستتركه وراءها في لندن.

رغم هذا كله، رفضت الذهاب معه.. فهما منفصلان منذ زمن جعلها تفقد الإحساس بالواجب تجاهه.. ولكنها في النهاية وافقت، لأنها لم تستطع مقاومة الفرصة المتاحة التي تخولها العودة إلى أرض ميلادها، إلى أرض الأحلام، أرض الشمس والشطآن البيضاء الممتدة، والأزهار البراقة، والبحار التي لا حدود لها.

ارتدت فستاناً قطنياً قصير الأكمام، ووضعت ماكياجاً خفيفاً، ورتبت شعرها.. في السابعة والربع، دقت باب أبيها فلم تتلق رداً. يبدو أنه نزل.. كانت جميع الغرف في هذا الطابق في الفندق تنفتح على رواق حجري، يحيط بأطرافه درابزين مطلي باللون الأبيض. تقدمت إلى حافته، ونظرت إلى الأسفل فرأت بركة فيها أسماك وردية تتسكع بين قطع من المرجان المثقوب وسيقان أزهار اللوتس. ثم رفعت نظرها مبتسمة إلى بئر الرواق الذي لا سقف به، والذي كان مفتوحاً لسماء المساء.

نزلت على الدرج العريض، فوجدت أباها جالساً في المقهى، وأمامه على طاولة منخفضة كوب عصير.. وتقدمت اليكسا لتجلس

على الكرسي المواجه له.

ـ أترغبين في شراب؟

ـ أجل.. عصير أناناس مع الكولا.

رفع رالف ويلموت يده يشير بكبرياء إلى عامل المقهى، الذي تقدم: «نعم سيدي؟»

ـ عصير أناناس مع الكولا.. وآخر مع الزنجبيل.

سألت اليكسا باهتمام وهي ترى في يده سيكارة:

ـ أيسمح لك طبيبك بالتدخين؟

رد بفظاظة وعناد:

ـ أفعل ما أشاء.

نظرت إليه لحظة، ثم أسندت نفسها إلى ظهر كرسيها.. حسناً.. إن أراد أن يمرض من جديد فليفعل، فلا حقّ لها في التدخل، وبما أنها لا ترغب في أن يلسعها بكلامه كلما حاولت إظهار القلق، فليفعل ما يشاء لأنها لن تهتم.

عاد الساقي حاملاً المشروب، فابتسمت اليكسا وشكرته، فحظيت منه بابتسامة كبيرة بالمقابل. لم يزعج والدها نفسه حتى بالنظر إليه، وواظب على تصرفه الفظ في أثناء العشاء. لاحظت اليكسا أنه جاف مع السقاة الذين كانوا بمعظمهم من الشبان الراغبين في خدمتهما، مع أنهم لا يتحدثون الانكليزية بطلاقة.. لم يقل لأحدهم مرة «أرجوك» أو «شكراً» بل كان يظهر نفاد الصبر إن لم يفهموا ما يريد حالاً.

سألته اليكسا لملء الصمت الذي ران وهما ينتظران الحساء:

ـ اللغة الأصلية هنا هي «السنهالي» أليس كذلك؟

هز رأسه إيجاباً، فأكملت:

ـ ألم تتعلمها عندما كنت تعيش هنا؟

ـ أجل.. بالتأكيد.

ـ لماذا لا تستخدمها إذن؟

ضحك رالف ويلموت بمرارة: من المفترض بهؤلاء الحمقى الذين يديرون ما يسمونه ويا للسخرية «فندقاً سياحياً» أن يتعلموا لغة السواح.. وأنا لا أنوي تشجيعهم على كسلهم.

جاء الحساء فاحتسته اليكسا وهي تتساءل عما إذا كان والدها فظ الطباع سيئها على الدوام، أم أن مرضه غيّر مزاجه.. تذكر أنه حاد الطباع، إنما حدة الطباع تختلف عن هذه الفظاظة. وإن كان هذا حاله دوماً فلا تستغرب أن تتركه أمها. إنه الآن في الستين والواقع أنه لم يتزوج حتى بلغ أواخر الثلاثين، وأمها تصغره بما لا يقل عن خمس عشرة سنة.

لم يكن في غرفة الطعام أناس كثيرون فهم في شهر آب أي خارج موسم السياحة ولهذا تلقيا الخدمة بسرعة. بعد الغداء رغبت اليكسا في القيام بنزهة لتمدد ساقيها، ولكن الظلام عمَّ خارجاً، ولم تحب أن تخرج بمفردها خشية أن تضيع.. إذ يقع الفندق وسط شبكة من الطرقات الضيقة غير المرتبة، وغير المضاءة. بعدما ألقت نظرة على وجه أبيها المتعب قررت أن لا تطلب منه مرافقتها.. على أي حال، بعد دقائق قليلة نهض وأعلن أنه يريد أن ينام.

ـ لقد استأجرت سيارة للغد.. يجب أن تنزلي إلى الفطور في السابعة والنصف حتى نتمكن من المغادرة في الثامنة.

كاد الغضب من استبداده يجعلها ترد بأنها ستستيقظ متى تشاء ولكنها هزت كتفيها فهو من يدفع نفقات السفر، لذا، له الحق أن يقرر مواعيد السفر إنما عليه أن يكون أكثر تهذيباً! هزت رأسها هزة خفيفة ولحقت به إلى الطابق العلوي. أمام باب غرفته تبادلا تحية مساء قصيرة، ثم تابعت اليكسا طريقها إلى غرفتها.. ولكنها لم تستعد للنوم، بل خرجت لتجلس في الشرفة، تصغي لأصوات الليل.. لنباح

الكلاب التي رقدت طوال النهار تحت حرارة الشمس، وعادت تملأ الجو بنباحها، ولنقيق الضفادع الذي لا يتوقف، ولهدير القطار القادم من بعيد.. وها هو العطر الفاتن قد عاد من جديد بقوة مضاعفة، عطر مسك خفيف.. أخيراً، عادت إليها الذاكرة.. إنه عطر سيلان، أرض مولدها، إنه الشيء الوحيد الراسخ في ذاكرتها عبر السنين التي ابتعدت فيها. فجأة خفق قلبها بالأحاسيس، وامتلأت نفسها بالهدوء والاكتفاء فقد شعرت بأنها فعلاً عادت إلى موطنها.

في الصباح التالي كانت السيارة التي طلبها والدها بانتظارهما خارج مدخل الفندق.. كانت سيارة سوداء كبيرة.. إلى جانبها وقف سائق سيلاني أنيق الثياب.

هرع يفتح الباب لهما: «صباح الخير سيدي، صباح الخير سيدتي».

قال رالف ويلموت بفظاظة:

ـ لا نحتاج إليك.. لقد طلبت سيارة بدون سائق.

ـ آه! لكن يا سيدي.. إن هذه الطرقات لغريب قد تكون خطيرة.. ومن الأفضل أن أقود السيارة.

ـ لست غريباً..

التفت بنفاد صبر إلى اليكسا: «هيا.. اصعدي في المقعد الأمامي».

حاولت أن تصل إلى تسوية: «لماذا لا أقود أنا؟»

ضحك: «ليس على هذه الطرقات. قد يقع حادث بعد أول ميل».

عندما ترددت قال بفظاظة:

ـ لقد قدت السيارات بنفسي على هذه الجزيرة أكثر من عشرين سنة، وأنا قادر على القيام بهذا الآن!

أدركت اليكسا أن لا جدوى من مجادلته، ودخلت المقعد

الأمامي، آملة أن يكون قادراً على قيادة السيارة.. قد يساعدها في الاطمئنان عليه أن تعرف نوع مرضه ولكن عندما سألته هز كتفيه، ولم يرد.

قالت له بحدة:

ـ لا فائدة من وجودي هنا ما دمت لن تتركني أقوم بشيء.

نظر إليها ببرود، ثم شغّل السيارة، عندئذ شعرت اليكسا بأنها كانت هدفاً لعجرفته.

يقع الفندق على سفح تلة منحدرة تطل على بلدة «كاندي».. سرعان ما علقا بازدحام السير الذي كان يتوجه بمعظمه إلى وسط البلدة.. كانت القيادة إلى الجهة اليسرى، كما في انكلترا ولكن، يبدو أن هذا النظام الوحيد المتواجد في الفوضى العامة. فقد ازدحم الطريق ليس بالسيارات فقط بل بباصات المرسيدس القديمة، المطلية بالأحمر والرمادي والمكتظة بالناس بشكل مخيف فهناك من يتعلق بها بيد واحدة فقط. كان هناك كذلك عربات محملة بالفاكهة والخضار، تتجه إلى السوق. وهناك مئات من الناس الراكبين الدراجات الهوائية وثمة عربات صغيرة أنيقة تستخدم لتجوال السواح.. وكان الجميع يقود ويده على الزمور، بحيث ضجَّ الجو بالزمامير المتنافرة. لكن بدا المشاة المتدفقين من الرصيف إلى الطريق، وكأنهم لا يسمعون شيئاً.. بل يتحركون مبتعدين عن الطريق في آخر لحظة.

اعتقدت اليكسا أن عند كل فرد منهم رادار أو ما شابه في جسده. تنفست الصعداء عندما تنحت امرأة عجوز عن الطريق بعد أن ظنت أنها ستتعرض لحادثة اصطدام. إن والدها على حق فهي لن تستطيع القيادة في الازدحام، أما والدها فلا يبدو مضطرباً، بل على وجهه ابتسامة استمتاع.

خفت، خلف البلدة، حدة الازدحام قليلاً، مع أن الطرقات

أصبحت أسوأ حالاً، وأخذت اليكسا تتأرجح في مقعدها وهما يجتازان حفراً ونتوءات. كان والدها يستخدم الزمور عندما يعترض طريقه مركبة أو مشاة.. ولكن، تسنى لأليكسا الوقت الكافي لتأمل المناظر التي تمر بها.. فقد شاهدت حقول الأرز الذي تقطعه النساء باليد، والأفيال العاملة التي تحرك جذوع أشجار ضخمة، كما رأت المحلات الصغيرة في القرى التي تبيع فاكهة غريبة وخضاراً وجوز هند ضخماً أصفر اللون للمسافرين العطاشى.

لقد جلبت معها آلة التصوير، وتمنت عشرات المرات لو تقف لالتقاط الصور، لكن أباها لم يلاحظ المناظر، بل كان مهتماً بالمضي قدماً إلى الأمام..

بعد بضع ساعات ارتفعت الطريق وتعددت المنعطفات التي يكاد يقشعر الجسم منها والتي تمر بين تلال شديدة الانحدار مزروعة بآلاف الأشجار المتساوية الطول.

قال رالف لابنته:

ـ من هنا بداية مزارع الشاي.

ـ هل كنت تعيش هنا؟

ـ لا.. فمزرعة برايدون القديمة على بُعد أميال من هنا.

بدت سيلان مكتظة بالناس. كان الرجال حتى في هذه المناطق النائية يسيرون حفاة الأقدام على جوانب الطريق.. وكانت النساء يغتسلن أو يغسلن ثيابهن تحت شلال مياه صغير يتدفق من هنا وهناك فوق الصخور الرمادية. وهناك أولاد صغار يحملون باقات من الزهور البرية في أيديهم، يحاولون جذب اهتمامهما ليشترياها منهم.

ارتفعت الطريق إلى الأعلى. وأصبحت المنعطفات أكثر حدة ثم ابتعد والدها عن الطريق، عند تلة شديدة الانحدار، وتوقف خارج بناء رمادي ضخم حيث يشرفان على الأراضي من حوله.

ـ ها قد وصلنا، هذا هو مصنع برايدون للشاي.

لم يخرج من السيارة فوراً، بل جلس ينظر حوله.. لزمت اليكسا الصمت، فمن الواضح أن المكان يعيد إليه ذكريات ما. وكم خاب أملها عندما وجدت أنها لا تتذكر شيئاً عن هذا المكان. بعد دقائق سحب نفساً ينم عن عدم الرضى، وخرج من السيارة ببطء تتبعه اليكسا.. كانت الحرارة قد بدأت تشتد حتى في هذا المكان المرتفع حيث الهواء يندفع من التلال.. كانت ترتدي ثوباً صيفياً، مع ذلك كانت تحس بالحرارة. في أحد أطراف المصنع بناء جديد المظهر مكتوب على بابه «استقبال السواح». شخر رالف بقرف مجدداً، ثم توجّه إلى مدخل المصنع، متجاهلاً البناء الآخر.

فيما كانا يقتربان من الباب، خرجت فتاة ترتدي «الساري» الأخضر من مكتب السواح، وهرعت إليهما.

ـ أرجوكما.. أترغبان في رؤية المصنع؟ أنا سأرافقكما.

استدار رالف وبلموت ينظر إلى الفتاة باحتقار لم يعنَ بإخفائه.

ـ لا أحتاج إلى فتاة تطوف بي.. أعرف أنحاء هذا المكان أكثر مما تعرفينه أنت.

ما برحت ابتسامة الفتاة وجهها.

ـ آه.. لكن من غير المسموح لك يا سيدي الدخول بمفردك، يجب أن أرافقك.

شخر مجدداً بغضب:

ـ تعالي إن كنت مضطرة ولكنني سأقوم بجولتي الخاصة.

أمسك ذراع اليكسا بثبات واقتادها إلى ظل المصنع البارد، وأخذ يشرح لها كيف يصنَع الشاي. راحا يتسلقان درجات شديدة الانحدار باتجاه منصات التجفيف، ثم نزلا مرة أخرى لرؤية الجزء الآلي من العملية، وأخيراً إلى غرفة الاختبار البيضاء حيث يتم تذوق عدة أنواع

مختلفة من الشاي.. في هذا الوقت، كان يلهث قليلاً، وكان على وجهه بقع حمراء.

حاولت إخفاء ما يدل على القلق في صوتها وقالت بحذر:

ـ تجعلني رؤية الشاي عطشى. هل من مكان نجرب فيه الشاي؟

كانت المرأة تتبعهما طوال الوقت، فقالت:

ـ آه! أجل. نحن نقدم أكواب الشاي لزوارنا في مركز السياحة وثمة مكان في الخارج إن كنتما تفضلانه.

ـ سنحتسيه خارجاً.

انطلقا إلى الخارج حيث جلسا تحت ظل مبنى مستدير مسقوف بالقش، مفتوح الجوانب. كان يطل على الوديان العميقة والتلال الشديدة الانحدار لمزرعة الشاي. أضفت ألوان الشجيرات على التلال مشهداً أخضر رائعاً. جلست اليكسا والشمس تصب حرارتها على ظهرها، فتمنت لو يتوقف والدها عن الكلام عن تدهور وضع المكان منذ تركه.

ـ لم يشتروا له آلة واحدة. يمكنهم مضاعفة إنتاجهم أضعافاً مضاعفة في ما لو استخدموا الوسائل الحديثة.. فما زال الكثير من الأعمال يتم يدوياً.

ـ قلت إن هذه الجزيرة كبيرة.. أهي بحجم اسكتلندة؟

ـ تقريباً.

ـ وهناك أكثر من خمسة عشر مليوناً يعيشون عليها؟

ـ أجل.

ـ إذن، ربما من الأفضل لهم ألا يدخلوا الآلات في أعمالهم.. لأنهم إن اشتروا الآلات اضطروا إلى رمي آلاف الأشخاص إلى الشوارع وعندئذ ستضطر الدولة إلى إعالتهم من الأرباح الإضافية التي ستجنيها من مصانع الشاي..

نظر إليها رالف ويلموت ببرود:

- منذ متى أنت خبيرة اقتصادية؟

ومض الغضب في عيني اليكسا ولكنها امتنعت عن رد حاد عندما عادت المرأة حاملة صينية عليها أكواب من الشاي ليجرباه.. ظلت الفتاة تدور حولهما مبتسمة على الرغم من فظاظة رالف ويلموت.. سألها عما إن كانوا يحتفظون بسجلات من عمل في المزرعة، وبدا أكثر تكدراً عندما أخبرته الفتاة أنهم لا يحتفظون إلا بسجلات السنوات الثلاث المنصرمة. بعدما تذوقا الشاي الذي وجده من النوع الشديد الرداءة التفت إلى الفتاة قائلاً إنه يريد أن يرى مكان سكن المدير.

قالت الفتاة: «لكنه منزل خاص».

- مع ذلك أريد رؤيته.. كنت مدير هذا المكان قبل أن تسرقه حكومتك. كنت أعيش في منزل المدير وفيه ولدت ابنتي. أريدها أن تراه.

احتجت اليكسا: «لا.. أرجوك.. ربما هذا غير مناسب».

- إذن، فليجعلوه مناسباً.. لم أجتز هذه المسافة لتصدني مواطنة محلية!

احمرت اليكسا حرجاً، وابتعدت عنه.. لولا تمالكها نفسها لانطلقت عقدة لسانها ولذكرت رأيها في طباعه الفظة. كان باب مركز السواح مفتوحاً. دخلت فوجدت هناك أشخاصاً يحتسون الشاي مستمتعين بعطلتهم.. كانت اليكسا قد بدأت تتمنى لو امتنعت عن مرافقة أبيها.. اشترت بضع رزمات من أفضل أنواع الشاي، لتأخذها معها هدايا. لكن تفكيرها كان بعيداً عما تفعله.. فقد كانت تتساءل كيف ستتمكن من تحمل مدة الزيارة بدون أن تفقد أعصابها.

كانت الساعة التالية أسوأ مما توقعت اليكسا أن تكون. كانا مضطرين للانتظار بعض الوقت حتى عادت الفتاة لتقول إنهما يستطيعان

الذهاب إلى المنزل. وكان صبر والدها ينفذ مع مرور الدقائق، لذا أفسد عليها أية متعة قد تجدها في رؤية المنزل الذي ولدت فيه. لقد عامل زوجة المدير الحالي وكأنها مغتصبة معتدية على المنزل الذي ما زال يملكه.. أشار إلى أشياء أضيفت إلى المكان منذ عهده، وكان يتحدث عن التغييرات بصوت مرتفع ملؤه الازدراء:

- إن هؤلاء الناس أقل من رعاع.. لا يعرفون ما هي مقاييس المدنية.

عضت اليكسا على شفتها، وتمالكت بجهد أعصابها. تعرف أنها لو فقدت سيطرتها على أعصابها أمام الغرباء لازدادت الأمور سوءاً. بدت زوجة المدير حائرة ومنزعجة من تصرفاته ولكنها حافظت على أدبها، وليس ذلك فحسب بل عرضت عليهما المزيد من الشاي والبسكويت اللذين رفضهما رالف ويلموت بفظاظة. تفرجا على الحديقة، التي وجدتها اليكسا جميلة.. ولكنه وجد أزهارها وأشجارها الاستوائية الجميلة غير مرضية، ثم، غادرا المكان أخيراً. وليضيف الإهانة إلى فظاظته امتنع عن شكر المرأة المسكينة ولم يكتف بذلك، بل رمى لها ورقة نقدية من فئة العشرين روبية على الطاولة.. لم تتذكر اليكسا المنزل، لكنها عرفت أنها لن تنسى النظرة التي انطبعت على وجه تلك المرأة ما حييت.

تمكنت من السيطرة على مشاعرها حتى أصبحت في السيارة التي قادها مبتعداً.. وعندئذ التفتت إلى أبيها تقول غاضبة:

- كيف لك أن تتصرف بمثل هذه الوقاحة؟ إن توليك مرة إدارة هذه المزرعة لا يخولك معاملة هؤلاء الناس وكأنهم قاذورات. أليس كذلك؟ ثم كيف ترمي المال في وجه المرأة بعد اقتحامك منزلها.. لقد كان... أمراً مقرفاً؟

نظر إليها والدها: «من تظنين أنك تكلمين؟ وماذا تعرفين عن

هؤلاء القوم؟ إنهم جيل ابتعد قليلاً عن حياة الفلاحين، ولكن يجب أن يبقوا في أماكنهم.. وهم لا يفعلون شيئاً إلا مقابل المال. هذا ما ستعرفينه سريعاً. إنهم رعاع جشعون وكسولون، كلهم هكذا!!»

بدأت ترد عليه جداله:

- كان من قابلتهم حتى الآن مؤدبين ودودين.

التفت إليها وأخذ يصيح بها يسكتها، ثم فجأة احمرَّ وجهه وأخذت السيارة تترنح بجنون وهو يستدير في منعطف بسرعة فائقة. أطلقت سيارة قادمة من الجهة الأخرى الزمور بغضب.. تذكرت اليكسا أنه كان مريضاً.. فشدت قبضتيها وأجبرت نفسها على الجلوس صامتة، ثم ضغطت فمها بتجهم.. أخيراً هدأ رالف ويلموت قليلاً، مع أنه تابع القيادة بسرعة وكأنه يتحدى بغضب إتهاماتها.

تناولا الغداء في «النادي الجبلي» في «نوارا إيليا» وهي بلدة بنيت خلال الاحتلال البريطاني، كمركز جبلي، كانت تبدو كأية بلدة إنكليزية.. ففي النادي ملعب غولف وحلبة سباق. كان النادي الجبلي مبنى ضخماً عماده الحجر الرمادي فبدا أشبه بعزبة رجل إنكليزي في «كوتسولدز» هذا إذا استثنينا تمثالي الأسدين الموضوعين على جانبي مدخله والمظلة المشابهة لقدم الفيل المنتصبة فوق الردهة. احتسيا شراباً محليا قبل دخول غرفة طعام ضخمة مصقولة الخشب، حيث قدم لهما الغداء سقاة محترمون يرتدون سترات بيضاء وثوب «سارونغ».. تناولت اليكسا من الطعام ما تعرفه أما والدها فطلب الكاري وأصر على أن يكون حاراً جداً.

فيما بعد تناولا القهوة ولكن رالف ويلموت سرعان ما وقف مجدداً قائلاً بلهفة:

- أريد قيادة السيارة في البلدة قبل أن نكمل سيرنا.

تبعته اليكسا راضية.. بدا لها مستريحاً في النادي الجبلي وهو

مكان طالما ارتاده في أثناء إقامته في سيلان، وعلى ما يبدو أنه ظلَّ على حاله، ولكن التغيرات التي حدثت في البلدة أعادت إليه غضبه.

- أنظري إلى هذا.. لقد حولوا أفضل المنازل إلى فندق.

وتذمر بشأن أماكن أخرى مهملة:

- تركوا المكان يتدمر. أراهن أن أحداً لم يمدَّ إليه اصبعاً منذ كنا هنا نشرف عليهم ونأمرهم بما عليهم فعله طوال الوقت.

ضرب قبضته بغضب فوق المقود:

- لقد أقفلوا ميدان السباق!

فجأة شغل السيارة وأخذ يقودها إلى خارج البلدة بسرعة جنونية.

- سأخرج من هذا المكان.. ما كان عليّ العودة إلى هنا.

عادا على الطريق التي سلكاها قبلاً، وهي الطريق المتصاعدة في التلال المتسللة في منعطفات شديدة الأغوار..

صاحت اليكسا:

- آه.. انظر! إن هذين الولدين الحاملين الزهور يسابقاننا بنزول التل مباشرة أما نحن فندور حول السفح.

راقبتهما وهي تضحك مسرورة، حين وصلا لاهثين إلى أسفل الطريق حيث وقفا مبتسمين وهما يمران بهما.. تابع والدها المسير دون أن يلقي نظرة عليهما. لكن الولدين قفزا بمرح على الطريق ثم نزلا ممراً منحدراً فيما كانت السيارة تنعطف في انعطاف آخر.. ولكن الولدين وصلا قبلهما مرة أخرى وهما يلهثان.

- هاهما.. توقف لحظة لأعطيهما شيئاً.

لكن رالف تابع قيادته.. فسألته بدهشة وخيبة أمل.

- لماذا لا تتوقف؟

- لن أشجع هؤلاء الأولاد الذين يتسولون من السواح، ويجعلون أنفسهم مصدر إزعاج.

بدأ الولدان ينزلان إلى آخر الطريق ففقدت أليكسا صبرها وقالت بحدة:

ـ لا أدري لماذا عدت ما دمت تكره هذا المكان وناسه كثيراً.. أم تراك ماسوتشياً تتلذذ بتعذيب نفسك والناس؟

رد بغضب: لا تحاولي إلصاق الصفات بي يا فتاة، خاصة وأنت لا تعرفين ما تتحدثين عنه!

ـ لماذا عدت إذن؟ من الواضح أنك غير مستمتع بما ترى، فأنت فظ مع هؤلاء الناس مع أنهم لطيفون مؤدبون و..

صاح بغضب وحقد مفاجئين:

ـ هذه هي المشكلة.. إنهم ألطف من اللازم! يبتسمون دائماً فتشعرين بأنك تريدين أن تتعرفي إليهم.. لكن، عليك إبقاؤهم بعيداً.. أتسمعين؟ عليك أن تدفعيهم بعيداً قبل أن يقتربوا!

كان يصيح بها، وأصبح وجهه أحمر.. ارتاعت فجأة لأنه بدأ يشد ياقته ولأن قطرات العرق تفصدت من جبهته، وأخذ يشهق بشدة وبصوت مرتفع وكأنه لا يستطيع أن يتنفس.

صاحت بخوف وهلع عندما وضع كلتا يديه على صدره وصاح صيحة ألم مبرح، ثم سقط إلى الأمام، فوق المقود.

ـ أبي.. أبي..!

أدركت مذعورة أن السيارة تسير وحدها، فأمسكت بيأس المقود. ولكن ثقل والدها جعل من المستحيل عليها تحريكه فهو أثقل من أن تدفعه بعيداً عن المقود. كانت السيارة تنزل التل، وتقترب من المنعطف التالي ومن منحدر التل العميق. أمسكت غريزياً المكبح اليدوي تشده فتباطأت السيارة في الانحدار ولكنها لم تتوقف، لأن قدم والدها تدوس على دواسة السرعة. شهقت شهقة يائسة قبل أن ترمي نفسها إلى الأسفل، تمد يدها لتدفع قدم أبيها عن الدواسة، ثم وضعت

كلتا يديها فوق المكابح وشدتها إلى الأسفل بقوة. أبطأت السيارة سيرها ثم توقفت ففكرت بأنهما نجوا ولكن السيارة انزلقت على حافة الطريق ووقعت على جانبها قبل أن تنقلب على جانب التل.

شعرت اليكسا وهي محتبية في أسفل السيارة بأنها لم تتأذ. تعلقت بمقبض غيار السرعات ولكن وركها الأيسر راح يصطدم بالأرض بشكل متكرر. اصطدم ذراعها مرة أخرى بشيء حاد فصرخت من الألم. وقع والدها فوق المقعد ثم أصبح فوقها تقريباً.. عيناه مغمضتان فاقد الوعي. كانت السيارة تنقلب وتنقلب واليكسا مسحوقة تحت ثقل أبيها. خالته ميتاً ثم بعد دهر بدا أن السيارة صدمت شيئاً قاسياً. فتأرجحت ثم توقفت. تمكنت اليكسا من تحرير إحدى ذراعيها التي وضعتها على صدر أبيها.. فشعرت بأنه يتحرك.. ثم شعرت بخفقات قلبه الخافتة.

كان بائعا الزهور أول من وصل إليهما. تسلقا فوق السيارة وفتحا الباب وهما يتحدثان بأعلى الصوت بلغة لم تفهمها. كانا صغيرين على مد يد المساعدة، ولكن سرعان ما عادا برفقة بعض الرجال من عمال مزرعة الشاي. لقد احتاجوا إلى قوة أربعة أشخاص لرفع أبيها إلى الخارج، أما اليكسا فديست أكثرة من مرة خلال العملية لأنها ما تزال في الأسفل. عندما جاء دورها لإخراجها وجدت أن ساقيها لا تقويان على حملها، فانهارت فوق العشب، راكعة مرتجفة.. نظرت حولها فرأت الهوة الكبيرة التي قطعتها السيارة على العشب المتنامي على جانب التل حتى توقفت على القسم المنخفض التالي من الطريق، قبل الهوة التالية بقليل. كانا محظوظين، لأنها تمكنت من كبح السيارة في الوقت المناسب.

تجمع حشد كبير حولهما.. توقفت شاحنة براقة الألوان مشحونة بجوز الهند، وهرع سائقها مع مساعديه وأخذوا يصيحون على الناس

الواقفين حولهما. . كان الجميع يتحدثون بصوت مرتفع رهيب، يلوحون بأذرعتهم، يستدعون آخرين كانوا يظهرون من حيث لا تعلم. مددوا أباها على العشب فزحفت اليكسا إليه. . كان وجهه رمادياً، وأنفاسه خفيفة. . وقف عدة رجال ونساء حوله، ولكن لم ترَ أن أحداً استطاع أن يقدم شيئاً.

نظرت بجنون إلى الوجوه السمراء التي كانت تحدق بفضول:

ـ فليستدع أحدكم الإسعاف. . اتصلوا هاتفياً بسيارة إسعاف!

خرج توسلها بصوت هستيري مرتفع فالتفت الجميع ينظر إليها، ثم انطلقوا جميعهم يتحدثون بصوت مرتفع مرة أخرى، ولكنّها لم تستطع فهم كلمة.

تعثرت فشدت نفسها لتقف:

ـ طبيب! يجب أن تستدعوا طبيباً!

ساعتئذ أدركت أن وركها يؤلمها كثيراً. . مدَّ أحدهم يده يسندها ولكنها أبعدت اليد الممدودة بغضب وأشارت إلى والدها بجنون:

ـ يحتاج طبيب، ألا تفهمون؟ أين أقرب هاتف؟

ولكن لم يُجدِ كلامها نفعاً لأنهم لم يفهموا ما قالته. بدأت تجرّ نفسها على الطريق وهي تعرج. كان رأسها يتلوى، وفيه فكرة مجنونة بأن تسير إلى أقرب مركز شاي وتستخدم الهاتف وتطلب المساعدة. ركض بعض الرجال وراءها وأمسكوا بها، محاولين إرجاعها. شعرت بالإحباط فراحت تصيح بهم:

ـ دعوني وشأني. . يجب أن أحصل على المساعدة.

ثم سمعت صوت سيارة تقترب فتفاءل قلبها لأنها رأت رجلاً أبيض يجلس في المقعد الأمامي. . عندما توقفت السيارة تمكنت اليكسا بطريقة ما من نفض أيدي الرجال عنها، وتقدمت نحوها وهي تعرج. وصلت في الوقت الذي انفتح فيه الباب وخرج رجل منها. كان

طويلاً جداً، عريض المنكبين ذا قوة فائقة. وقعت، تقريباً، عليه، فأمسك بها، يدعم ثقلها بسهولة ثم سأل بحدة بصوت عميق، لكنته إنكليزية رائعة:

ـ ما الأمر؟

ـ إنه والدي. . مصاب! تحطمت السيارة. . آه! ساعدني، أرجوك ساعدني!

كانت عيناها وهي تتوسله قاتمتين من الخوف والهلع.

أدار الإنكليزي رأسه، ليعطي أمراً للشخص الذي يرافقه، ثم استدار إليها يطمئنها:

ـ لا تقلقي. . سأهتم به.

كانت على حق بشأن قوته، فقد كانت بارزة في كل خطوط وجهه وفي كل نبرات صوته. . من حسن الحظ أنها لاحظت هذا، ووضعت نفسها تحت تصرفها. تركت الصدمة والخوف يأخذان منها مأخذهما، ففقدت الوعي بين ذراعيه.

* * *

www.liilas.com

٢ ـ تراقبه في الظلام

Ami

عندما استيقظت اليكسا، وجدت نفسها محمولة ورأسها على كتف رجل. ظلت هامدة لبرهة تتنشق رائحة عطر ما بعد الحلاقة وتشعر بقماش قميصه القطني البارد تحت خدها. عرفت أين هي، وماذا حدث، عرفت أن من يحملها هو ذاك الإنكليزي.. لكن رأسها كان مثقلاً يدور ويدور. احتاجت إلى بضع لحظات قبل أن ترفع جفنيها وترفع رأسها لترى الفك القوي.

يبدو أنه شعر بحركتها إذ أحنى رأسه لينظر إليها. كانت عيناه زرقاوين أو رماديتين، صافيتين.

ـ إذن، لقد عدت إلينا.. هل تؤلمك ساقك كثيراً؟

ردت بتردد فلا تذكر أنها اشتكت من ألم ساقها:

ـ لا.. لا.. إنها بخير. والدي؟

حاولت رفع رأسها لتنظر حولها فاشتدت ذراعا الرجل حولها.

ـ رويدك. لقد وضعناه في السيارة.

توقف ليوقفها بلطف على قدميها، أمام باب سيارته المفتوح:

ـ هل أرافقك إلى الداخل أم تقومين بذلك بنفسك؟ لقد تحسست ساقك فلم أجدها مكسورة، لكنني أظنك مصابة بكدمات كبيرة.

ـ لا.. أستطيع القيام بذلك.

دخلت إلى السيارة، فحاولت من غير أن تنجح كبت آهة ألم على

شفتيها. كان والدها ممدداً في المقعد الخلفي يستند رأسه على مواطن من أهل البلد نحيل.. كان فاقد الوعي ولكنها استطاعت سماع أنفاسه تخرج كالصفير، بلهاث ثقيل وكأن شخصاً يجلس على صدره.

التفت الإنكليزي إلى مقعد السائق وجلس قربها، فالتفتت اليكسا إليه تقول بلهفة:

ـ هل هو بخير هكذا؟ أليس علينا انتظار سيارة إسعاف؟ أنا واثقة أنه سيكون مستريحاً إن تمدّد.

وافقها الغريب الرأي إنما بفظاظة:

ـ أجل.. أعتقد هذا. ولكن، لسوء الحظ، لا مستشفيات إلا في «نوارا إيليا» لذا قد يستغرق وصول سيارة الإسعاف إلى هنا ساعة، ثم ساعة للعودة.. لذا، أظن ان من الأفضل أن نأخذه إلى منزلي الذي يبعد عن هنا مسافة عشر دقائق.

شغّل محرك السيارة وهو يتكلم، ثم راح يقودها على الطريق الوعرة الملتفة.. في أسفل التلة انعطف إلى طريق أضيق من الأول، ثم توقف ليطلق الزمور أمام بوابتين مرتفعتين، سرعان ما انفتحتا، وبرز منهما رجلان يرتديان «السارونغ» الوطني. تابع الرجل سيره بين شجيرات مزهرة وأشجار مرتفعة، ثم توقف أمام منزل ريفي كبير مطلي بالأبيض.

خرجت خادمة محلية لتلقاه وأرسلت إلى الداخل مجدداً بسرعة لتحضير غرفة نوم. خرجت اليكسا ولكنها لم تستطع القيام بشيء غير الابتعاد عن الطريق والمراقبة بلهفة وهم يخرجون أباها من السيارة ويحملونه إلى المنزل. قفزت إلى غرفة جلوس كبيرة مشمسة على ساق واحدة وهناك غاصت في مقعد وهي تشعر بأنها عاجزة كل العجز ولكنها كانت تشعر بأن أباها بين أيد قديرة. أسندت نفسها إلى ظهر المقعد، تحس بالسقم فجأة وبالارتعاش. كان والدها شاحباً عليه

ملامح المرض الشديد. بدأت يداها ترتعشان وأغمضت عينيها بشدة محاولة إبعاد صورته عن عينيها.

ـ تفضلي، اشربي هذا.

كان الإنكليزي واقفاً قرب مقعدها يمسك فنجان شاي.. مدت يداً مرتجفة، فأمسكها يهدئها.. كانت يده ثابتة، وأصابعه تطبق على أصابعها لتحسن إمساك الفنجان حتى تشرب. جعلها الشاي الساخن الحلو المذاق تسعل، لكنها بعد قليل أحست أنها أفضل حالاً.

تناول منها الفنجان الفارغ، ولكنه قال وهي تحاول الوقوف: «ماذا تحاولين أن تفعلي؟»

ـ أبي.. يجب أن أذهب إليه.

دفعها بلطف لتعود إلى المقعد.

ـ إنه بين أيد أمينة أما أنت فلن تستطيعي فعل شيء. سيصل الطبيب بعد قليل ليعاينه.

ـ طبيب؟

ـ أجل.. ثمة فريق طبي يزور مزرعة الشاي اليوم، ولقد اتصلت بهم أطلب طبيباً.. وكنا محظوظين لأنهم موجودون في الجوار..

صمت لدى سماعه صوت سيارة في الخارج:

ـ لا شك أنه هو. اجلسي هنا هادئة فيما أتحدث معه.

ابتعد ثم سمعته اليكسا يحيي شخصاً، ولكن ما لبث أن تلاشت الأصوات بعد إقفال باب.. عادت لتسند رأسها على ظهر المقعد، وتطلعت حولها في الغرفة الكبيرة المفتوحة على الحديقة، وعلى النسيم البارد القادم من الجبال. كانت الجدران الأخرى مطلية باللون الأبيض الذي أمّن خلفية مذهلة لعدة لوحات غنية الألوان وللرسومات المحلية. وهناك كهرباء أيضاً، ومصابيح على بعض الطاولات. بدأت تتساءل عمن يكون المالك، عما يفعل في مسكنه هنا في هذا الجزء

البعيد النائي من سيلان.. عاد فجأة إلى الغرفة، فجلست فوراً في المقعد مستوية، تنظر إليه بقلق وارتباك.

هز رأسه نفياً: «لا شيء جديد حتى الآن. قد تتطلب معاينته من الطبيب بعض الوقت. لقد أبعدني هو وممرضه عن طريقهما».

جر كرسياً وجلس. أخرج علبة سكائر وعرض عليها واحدة.. فهزت اليكسا رأسها.

ـ لا.. شكراً.

ما كان يجب أن تهز رأسها، لأن الألم عاد إليها. عبست فسألها:

ـ هل تؤلمك ساقك؟ أترغبين في الاستلقاء؟

ـ لا.. سأنتظر.

تذكرت أنه قال بأنه تحسس ساقها ليرى ما إذا كانت مكسورة.. لا شك أنه رآها تعرج.. نظرت إليه وأحست بحرارة في وجنتيها فجأة، بسبب فكرة ملامسة هاتين اليدين القويتين لها.

ربما، قرأ شيئاً من أفكارها، فقال:

ـ ربما، ترغبين في التعريف عن نفسك وفي التحدث عن الحادث وكيف وقع. اسمي هندريكس.. برايس هندركس.

بدا لها لوهلة أن الاسم يثير وتراً حساساً في ذاكرتها. ولكنه كان بانتظار ردها، لذا لا وقت لديها للتفكير:

ـ إننا من آل ويلموت.. أنا اليكسا واسم أبي رالف.. نحن في إجازة.. وصلنا بالأمس..

صمتت لحظة، فنظر إليها برايس هندريكس بقلق، وبدا أنه يوشك أن يتحدث ولكنها أردفت:

ـ كان والدي يعمل في سيلان، في مزرعة للشاي.. أراد.. أراد أن يراها مجدداً.. استأجرنا سيارة هذا الصباح إلى «نوارا إيليا».. ثم.. في طريق العودة تورد وجهه فجأة وانهار فوق المقود.

وارتجفت للذكرى.

ـ أتقولين إنه انهار قبل التحطم؟

قطع صوته الحاد الصورة المرعبة في رأسها، فأعادها إلى واقعها.. هزت رأسها مخدّرة، فقال:

ـ قد يساعد هذا الطبيب. سأذهب حالاً لأخبره.

غاب فترة أطول هذه المرة، ثم عاد برفقة الطبيب وهو رجل سيلاني متوسط العمر ذو شارب كبير.

جلس الطبيب على الكرسي الذي كان يجلس عليه برايس هندريكس سابقاً:

ـ آنسة.. ويلموت. هل يعاني والدك من القلب؟

هزت اليكسا كتفيها بعجز: «الواقع أنني لا أعرف شيئاً عن حالته الصحية.. أترى، أنا لم أره منذ مدة طويلة ولمّا رأيته مؤخراً عرفت أنه مريض لكن.. لم يخبرني مما يشكو».

بدت الدهشة على الرجلين. سألها: «وهل سبق أن أصيب بنوبة قلبية؟»

ـ آسفة.. لا أعرف. سألته لكنه لم يخبرني. قال إن الأمر غير خطير.

تمتم الطبيب: «هكذا إذن.. هل تناولتما طعاماً اليوم؟»

أجابت بدهشة:

ـ أجل.. في نادي الجبل في «نوارا إيليا».

ـ وأعتقد أنه تناول الكاري؟

ـ أجل، تناول الكاري، أما أنا فتناولت البيض المقلي.

شخر الطبيب بنفاد صبر:

ـ الكاري الحار وحرارة الطقس والقيادة في طرقات خطيرة! لا أستغرب أبداً أن يصاب بنوبة قلبية!

صاحت بذعر: «نوبة قلبية؟ هل هو.. هو..؟»

قاطعهما برايس هندريكس بسرعة..

ـ لا.. سيكون على ما يرام.. كانت النوبة لحسن الحظ خفيفة ولكنه عانى من بعض الإصابات من جراء التحطم. لديه ارتجاج دماغي قوي، ولديه إصابة في كاحله.

قال الطبيب بصوت متجهم:

ـ سيكون على ما يرام إنما لن يتم ذلك بسرعة فستمر عدة أسابيع قبل أن يصبح قادراً على العودة إلى انكلترا.. وهو الآن مريض جداً بحيث لا يمكن نقله إلى المستشفى.. يجب أن يبقى هنا.

قال برايس هندريكس عن غير تردد:

ـ لا مشكلة في هذا.. لدينا غرف عديدة.

التفت إلى اليكسا: «أين نقيمان؟»

ـ في فندق سيدة الجبل، في كاندي.. لكن...

ـ سأرسل من يشرح لهما ما حدث ثم ينقل حقائبكما.

ـ آه.. لكننا..

قاطعها: «بدون لكن. ستبقيان هنا».

قال الطبيب مستحسناً:

ـ عظيم.. سأرسل ممرضاً ليلازمه الليلة، على أن أزوره غداً.

قالت اليكسا: آه.. هذا غير ضروري.. أستطيع البقاء معه.

ـ وهل أنت ممرضة؟

ـ لا.. لكن..

ـ من الأفضل أن يكون معه ممرضة.

ـ هل أستطيع رؤيته الآن؟

ـ أعطيته منوّماً. بإمكانك رؤيته عندما يستيقظ.. والآن. سأعاينك. أخبرني السيد هندريكس أنك أصبت أيضاً.

- لا شيء . . بضع كدمات فقط .
- الأفضل أن نتأكد . .
نظر إلى برايس هندريكس :
- ألديكم غرفة أخرى؟
- بالتأكيد .

وقفت اليكسا، مغلوبة على أمرها ولكن ساقها تشنجت خلال جلوسها، ففقدت توازنها، وصاحت متألمة وهي تحاول وضع ثقلها عليها . . سرعان ما كان برايس هندريكس قربها تدعمها ذراعه .

سحبت نفساً عميقاً .

- آه . . يبدو أنني اعتدت على الانهيار عليك . . أنا آسفة ولكنني سعيدة بوجودك إلى جانبي .

نظرت إليه، وعلى وجهها شعور واضح بعرفان الجميل، وتمكنت من الابتسام رغم ألمها . توقعت أن يرد لها منقذها الابتسام، ولكن حاجبيه الأسودين الكثيفين انحنيا بتقطيبة خفيفة . . وساعدها على الوصول إلى غرفة نوم حديثة الأثاث، ذات باب مزدوج يفضي إلى شرفة تطل على حدائق قابعة إلى جانب المنزل . كان فيها سريران صغيران، عليهما أغطية صوفية . ساعدها برايس في الجلوس على أحدهما ثم ارتدَّ على عقبيه خارجاً .

أكد لها الطبيب أنها لا تعاني من إصابة خطرة ولكنه طلب منها عدم المبالغة في عمل شيء ما في الأيام القادمة ثم وصف لها بعض الحبوب لمعالجة ألم الرأس . . قال إن عليها الاستلقاء وطلب الراحة . ولكن اليكسا لم تستطع . . فبعد زوال الصدمة الأولى، بدأت تدرك كم يزعجان منقذهما، استطاعت أن تسمع من بعيد صوت الطبيب يحادثه، صوت الطبيب حاد مرتفع أما صوت برايس فعميق ملؤه الطمأنينة .

برايس هندريكس . . واثقة أنها سمعت هذا الاسم من قبل في

مكان ما . . ولكن عندما حاولت التفكير ازداد ألم رأسها . . كانت قلقة على أبيها وفي الوقت نفسه غاضبة منه لأنه لم يخبرها بحالة قلبه . لو عرفت لأصرت على استخدام سائق لكن فات الأوان على الندم .

تلاشت الأصوات من الممر، وسمعت محرك سيارة يدور في الخارج، تبع ذلك صوت سيارة أخرى .

تحركت اليكسا بقلق فوق الوسادة، تفكر في ما سيحدث للسيارة التي استأجراها، وفي مدى الأضرار التي لحقت بها . جلست في السرير مدركة أن عليها القيام ببعض الترتيبات لإرسالها إلى الكاراج، ولإعلام شركة التأجير بما حدث . . التقطت فستانها، وارتدته، ثم نهضت من السرير حافية القدمين وتوجهت إلى غرفة الجلوس .

كان مضيفهما واقفاً أمام النافذة، ينظر إلى الخارج، إلى حيث الجبال المرتفعة . . كان مسمراً في مكانه، وكأنه غارق في التفكير . . تقدمت اليكسا إليه، فلم يشعر بها لأن قدميها الحافيتين لم تصدرا صوتاً . ظنته يراقب شيئاً في الخارج بكل اهتمامه، ولكن عندما اقتربت، لاحظت أنه غارق في التفكير وأنه ينظر إلى شيء في نفسه .

لم يلاحظ أنها قربه فوجدت الفرصة سانحة للنظر عن كثب، بعد ما زال عن بالها الخوف على أبيها . كان وجهه قوياً واضح المعالم، أنفه مستقيماً ووجنتاه مرتفعتين بدا بشكل إجمالي وسيماً . . شعره أسود كثيف ولكنه أطول من المعتاد وكانت أهدابه كثيفة ناعمة، ولكنها الدليل الوحيد على النعومة في وجهه . . رغم ذلك، أو ربما بسبب ذلك، أحست اليكسا باضطراب مشاعرها . . لقد جذبتها جاذبيته ورجولته وجعلتاها تشعر بأنوثتها

عندما وعى وجودها، بعد دقائق، لم يجفل بل اتسعت عيناه لحظة، ثم عبس، وأشاح بوجهه .

سأل: «هل أحضر لك شيئاً؟»

ـ لا.. لكن.. أنا آسفة على إزعاجك سيد هندريكس غير أنني لم أفعل شيئاً بخصوص تلك السيارة التي استأجرناها. يجب أن أبلغ مالكيها بما حدث.

ـ لقد اهتممت بهذا كله.

طافت عيناه فيها بعفوية ظاهرة، ولكنها نظرة سجلت كل التفاصيل: شعرها الأشقر الذي يبلغ حد كتفيها، قامتها الطويلة النحيلة، ثم ارتفعت نظرته إلى وجهها فلاحظ ملامحها الكاملة، واللون الأبيض الشاحب المكتسب من شتاء إنكليزي طويل في مكتب، والحيرة في عينين زرقاوين.. لانت ملامحه قليلاً:

ـ أؤكد لك أن لا داعي للقلق على شيء، فكل شيء على ما يرام. لقد أرسلت سيارة إلى فندقكما لشرح ما حدث، ولنقل حقائبكما.. ستعود السيارة باكراً هذا المساء.

ـ إنما، يجب تسديد الفاتورة..

اقترب منها، وأمسك يديها المرتجفتين ليقول بحزم:

ـ أليكسا.. لقد سبق أن طلبت منك التوقف عن القلق.. والآن أرجوك عودي إلى الراحة. وسأرسل في طلبك قبل ساعة من موعد العشاء، أو حينما يستيقظ والدك ويسأل عنك.

اشتدت يداه على يديها لحظة:

ـ استرخي.. ليس هناك ما تفعلينه أو تقلقي عليه.

في تلك اللحظة، توقفت اليكسا عن القلق.. وكأنها أدركت، واعترفت، بقدرته على تولي زمام الأمور. ربما هي تلك القوة التي شعرت بها في يديه.. أو ربما هو ضعفها الحالي وإحساسها بأنها عرضة للخطر.. لكن في النهاية، اختفى قلقها، وأحست بالتعب الشديد.. فهزت رأسها، فترك يديها.

قالت بصوت مرتجف:

ـ شكراً لك على استقبالنا، وعلى كل ما قمت به من أجلنا. لولا مجيئك..

رد بصوت أجش: «هراء.. فهذا أقل ما أقدمه لمواطنين من أهل بلدي».

عرض عليها مرافقتها إلى غرفتها لمساعدتها ولكنها عندما قالت إنها قادرة على العودة بمفردها، لم يصرّ، بل وقف يراقبها وهي تقفل عائدة على ساق واحدة.

لا شك أنها نامت فترة طويلة، فالشمس كانت تغيب عندما استيقظت على طرقة خفيفة على الباب وعلى صوت لم تعرفه يقول لها إن العشاء بعد ساعة. كانت حقيبتاها أمام الباب فتساءلت من وضبهما في الفندق. كان هناك حمام ملحق بغرفتها، والماء ساخن. أنزلت أليكسا جسمها المتعب المكدوم في المياه الساخنة في المغطس، ثم تأوهت بصوت خفيض وأحست بألم من نوع لذيذ.. نقعت جسمها نصف ساعة ثم جففته بحذر.. بعدها عاينت جسدها بدقة على المرآة الطويلة خلف باب الحمام.. يا الله.. تظهر عليها كدمات رهيبة! فالجنب الأيسر بدءاً من الورك وحتى أسفل المؤخرة، أسود اللون. تحسسته بحذر فوجدت أنه حساس ومؤلم.. كان هناك بضع علامات أيضاً على ذراعها اليسرى لكنها لم تكن تشعر بها.

ارتدت أليكسا ملابسها بعناية، ثم تمنت لو أن معها المزيد من الثياب.. لكنها على الأقل حملت معها ملابساً جديدة. اختارت بلوزة بيضاء طويلة الأرداف لتخفي آثار الكدمات على ذراعها، وتنورة واسعة طويلة وانتعلت حذاء عالي الكعبين أبيض اللون. أمضت بعض الوقت تسرح شعرها وتبرّج وجهها. عندما انتهت، كانت الساعة تكاد تنقضي.. التقطت حقيبة يدها بسرعة وأسرعت إلى غرفة الجلوس، تعرج عرجاً خفيفاً.

كان برايس يصب شراباً. التفت حالما سمع وقع كعبيها على الأرض المكسوة بألواح الآجر.. عندما شاهدها شهق وارتفع حاجباه استغراباً.

ابتسمت أليكسا له:

- مساء الخير.. أرجو ألا أكون قد تركتك منتظراً؟

- أبداً.. ماذا ترغبين أن تشربي؟

- هل لديك عصير أناناس مع الكولا؟

- بالتأكيد.

صبَّ لها الشراب، فسألت:

- أما زال أبي نائماً؟

أعطاها الكأس:

- أعتقد هذا. استيقظ قليلاً منذ فترة فقال إنه على ما يرام، ثم عاد إلى النوم مجدداً.

- ألم يسأل عني؟

هز رأسه:

- أظنه ما يزال مخدراً من جراء الدواء الذي أعطاه إياه الطبيب.

- أجل، أظن هذا.. إنما لا داعي إلى مراعاة مشاعري.. فأنا ناضجة وقادرة على مواجهة واقع عدم السؤال عني. أعتقد أنه لم يزعج نفسه حتى بالسؤال عما إذا تأذيت من الاصطدام.

نظر برايس إليها وملء عينيه الحذر.

- كم عمرك؟

عبست قليلاً ثم أجابت: «أنا في العشرين».

- أنت صغيرة على انتهاج منهج السخرية.

- لم أنتهج منهج السخرية بل منهج الواقعية.

لكنها لم تستطع إخفاء أثر المرارة من صوتها.

قال: «عندما رأيتك للمرة الأولى، ظننتك أصغر سناً. لكنك تبدين الآن..»

سألته عندما تردد: «نعم؟»

- مختلفة جداً.

شعرت بأن هذا ما لم يكن ينوي قوله.

جاء خادم ليقول إن العشاء جاهز، فرافقها برايس إلى غرفة أصغر من التي كانا فيها ولكن نوافذ هذه الغرفة أيضاً مفتوحة على هواء الليل البارد.. جلست أليكسا قبالته إلى مائدة مستديرة، كانت أكبر من أن تكون صغيرة حميمة، وأصغر من أن تكون رسمية.

ذكر ملاحظات عابرة أثناء وجبة الطعام، فأدركت أليكسا أنه يحاول أن يكون لبقاً.. فمعظم الناس كانوا سيتمسكون بما أبداه أبوها من عدم اهتمام بها وسيرغبون في معرفة سبب تأكدها من لا مبالاته تجاهها. لقد ندمت على تصريحها المندفع، ولهذا شعرت بالامتنان بسبب لياقته. حاولت أن تشاركه الحديث اللبق بالاستفسار عن عيشته في سيلان إن كانت دائمة.

- لا.. لا أعيش هنا بشكل دائم بل أنا هنا منذ سنتين.

- وهل هذا منزلك؟ هل تقيم هنا؟

هز رأسه: «لا.. استأجرت هذا المنزل من صديق.. اضطر إلى السفر والعمل في أميركا مدة سنتين، لكنه لم يرغب في التخلي عن المنزل.. وبما أنني أردت مكاناً هادئاً أعمل فيه على مشروعي الذي تعهدته.. كان هذا الاتفاق المثالي بيننا».

تساءلت عن طبيعة المشروع الذي يقتضي منه سنتين من العمل.

سألت: إذن، صديقك راجع قريباً؟

- بعد بضعة أشهر، ولكنه لم يحدد موعداً معيناً فلسنا مقيدين بالوقت.

قالت أليكسا حزينة: «ما أروع ألا تكون محكوماً بالساعة وبالوقت، أي ألا تكون مضطراً للعمل من التاسعة حتى الخامسة، على مدار السنة».

برقت لمحة تسلية في عينيه الزرقاوين الرماديتين:

- ليس الأمر بمثل هذه البساطة.

- أليس كذلك؟

لكنه لم يتقبل الدعوة إلى متابعة الموضوع. قال: «أفهم من كلامك هذا أنك موظفة في مكتب؟»

- أجل.. مكتب محاماة.

- سكرتيرة؟

- أجل.

- وتكرهين العمل.

رفعت رأسها تفكر في الموضوع:

- لا.. ليس تماماً.

انسدل شعرها على ذقنها، فرفعت يداً لتبعده. التفت الخصلات الذهبية حول أصابعها..

- أو على الأقل، لم أكرهه عندما كنت هناك. أما الآن فبدأت أكره فكرة العودة..

ضحكت قليلاً: «لقد أثرت الرحلة على تفكيري».

هز رأسه: وهذا يحدث. ولهذا السبب هناك آلاف الشبان الذين يعملون أو يسافرون إلى الخارج.. إنه حب التجول الذي يأتي مع باكورة النضوج، ويجب أن يحقق المرء ذلك قبل أن يستطيع الاستقرار.

- أهذا ما تفعله أنت؟

ضحك ضحكة قصيرة:

- أبداً.. فقد أخرجت ذلك الإحساس من نفسي منذ زمن بعيد.. لا.. جئت إلى هنا بغية الابتعاد عن...

تردد، ثم غيّر ما يريد قوله:

- لأن الطقس في سيلان رائع، ولأنني أردت الهدوء والراحة اللتين تؤمنان لي العمل بهدوء.

قالت محرجة: «وها قد جئنا لنعكر صفو عملك.. أنا آسفة».

أنكر بخشونة: «هراء.. أنا مسرور لأنني في موقف من يمد يد المساعدة. أنتما بكل تأكيد لا تعكران عليّ صفو العمل. أرجوك، لا تفكري في هذا. على الرحب والسعة بكما في البقاء حتى يصبح والدك مؤهلاً للسفر. لدي خدم يعتنون به».

- لكن.. عملك؟

- في الواقع، يكاد ينتهي. أرجو ألا تقلقي.

قال هذا بلهجة حاسمة، جعلت أليكسا تأخذ كلامه على محمل الجد.. وأشعرتها بأنه ندم على ذكر رغبته في العزلة. سرعان ما غيّر موضوع الحديث بطرح سؤال عن رأيها بسيلان.

- أظنها رائعة.. ولكنني منحازة فهنا ولدت.

ارتفع حاجبه دهشة وهي تتابع إخباره بالظروف.. ثم سأل:

- إذن هذه رحلة حنين بالنسبة لوالدك؟

- أجل.. أعتقد هذا. مع أنني لم أكن أفكر في أنه ممن يتأثر بمثل هذا.

مع أنها لا تعرف حقاً أي نوع من الناس هو.

بعد العشاء، ذهبت بهدوء إلى غرفة أبيها، جلست في كرسي قرب السرير تنظر إليه، تدرسه عن كثب أكثر مما تسنى لها يوماً.. لكن، لم يكن هناك الكثير لتعرفه من خطوط وجهه التي حفرتها سنوات طوال أمضاها في العراء تحت الشمس. أدركت أليكسا أنها لا تعرف أموراً

كثيرة عن أبيها، وأن لديها فقط فكرة عابرة عن شخصيته، التقطتها عبر السنوات من أمها وخالتها، وكانت مجحفة بحقه..

لم تقولا شيئاً بشكل مباشر ضده، بل كان مجرد رأي تكوّن من سماعها أحاديثهما ومن ملاحظات كانت تنقطع عندما يُعرف أنها تستمع. أضف إلى هذا، تصرفه الفظ في اليومين المنصرمين، ذاك التصرف الذي لم يفعل شيئاً لتغير رأيها فيه.. بل رسّخه.

فيما كانت تراقبه، رفّ جفناه، وحرك رأسه فوق الوسادة.. ثم فتح عينيه.. اقتربت أليكسا منه. فطافت عيناه بذهول في الغرفة الغريبة المعتمة.. ثم أحس بوجود شخص معه، فتهلل وجهه.. ولفظ بلهفة كلمة لم تفهمها، ربما كانت اسماً. أسرعت إلى حافة السرير، ومالت فوقه لتكون ضمن دائرة الضوء.. ولكن سرعان ما مات الفرح على وجهه، وقال بفظاظة: «أهذه أنت؟»

منعت أليكسا نفسها عن الارتداد على عقبيها والخروج من الغرفة.. زمّت شفتيها وقالت: «أجل، هذه أنا. كيف تشعر؟»

شخر ساخراً: «أشعر بأنني بحالة رهيبة لعينة! ما.. ماذا حدث؟ لا يبدو أنني أتذكر شيئاً».

حاول أن يتحرك لكنه تألم فقالت له:

ـ وقع حادث وانقلبت السيارة رأساً على عقب.

ـ أين نحن؟ في الفندق؟

ـ لا.. نحن ضيفان على رجل إنكليزي. هذا المنزل قريب من مكان الحادثة.. واسم الرجل برايس هندريكس إنه..

لكن عينيه كانتا تغمضان مجدداً. وكأنما الجهد الذي بذله ولو لبضع دقائق، أكثر من أن يتحمله. فتلاشى صوت أليكسا ووقفت تنظر إليه، تتساءل عمن ظنها، وعما حمل مثل هذا الفرح للحظة إلى وجهه. الاسم الذي نطقه لم يكن اسماً تعرفه، وهو بالتأكيد ليس اسم أمها.

عادت الممرضة بعد ذلك مباشرة، فأخبرتها أليكسا أن مريضها استيقظ.. فهزت الممرضة رأسها. الواضح أنها قادرة على التعامل مع هذا النوع من المقعدين. كانت شابة صغيرة، أصغر بكثير من أليكسا، ولكن السيلانيون قصيرو القامة، وبدت الممرضة قادرة على العناية بمن هو أكبر حجماً منها.

عادت أليكسا إلى غرفة الجلوس فلم تجد برايس هناك.. ولكنها سمعت من وراء الباب الموصد إلى اليسار صوت آلة كاتبة، فعلمت أنه يحاول استدراك ما فاته من عمل، فقررت عدم إزعاجه بالدخول إليه لتتمنى له ليلة سعيدة.. ما زالت الغرفة مفتوحة لهواء الليل، فالمصاريع الخشبية لم تقفل حتى الآن. خرجت إلى الشرفة المستديرة حول المنزل.. كان أريج الزهور يعبق في الجو. مدت يدها تتلمس الزهور الشبيهة بأجراس التعريشة البيضاء والليلكية التي تمتد على أعمدة. ثمة بضع درجات تقود إلى الحديقة، فنزلتها ببطء وكان القمر ينير طريقها. الحديقة كبيرة جداً، يحيط بها جدار مرتفع.. ولكنها مغروسة بأشجار تعطي روائح استوائية.

بدا أن الليل يزيد من ترسيخ هذه الروائح. تبعت أليكسا أنفها متنقلة من شجيرة إلى أخرى، بغية التعرف إلى شجيرة القرفة، وكبش القرنفل، وإلى رائحة الكافور التي تذكرها بطفولتها.

أوصلها تقدمها البطيء في الحديقة أمام الغرفة التي يعمل فيها برايس.. جعلتها حركة من الداخل ترفع بصرها. كانت نوافذ الغرفة مغلقة، ولكن الستائر لم تكن مسدلة. كان واقفاً ليحضر كتاباً عن الرف، ثم عاد إلى الجلوس خلف الآلة الكاتبة. إنها غرفة معدة للعمل. جدرانها مليئة بالرفوف، وهي مكتظة تقريباً بالكتب.. وهناك بضع خزائن حديدية للملفات، تحت خريطة كبيرة مثبتة إلى الجدار. بدأ الطباعة مرة أخرى، فابتسمت أليكسا لنفسها. فهو يطبع ببطء ولا

يستخدم غير إصبعين للطباعة فقط.. ولكن تلاشت ابتسامتها حالما تذكرت أنها الآن بدون عمل وأن عليها أن تتدرب مجدداً.

تساءلت عن طبيعة عمل برايس.. حاولت أن ترى ما هي الخريطة على الجدار ولكنها كانت بعيدة جداً.. ومع ذلك استطاعت أن تدرك أنها ليست خريطة سيلان.

كان يتوقف بين الحين والآخر، وهو يطبع ليفكر أو ليغير شيئاً. وقد حدث أن ارتكب مرتين أو أكثر غلطة طباعية. ورأت انزعاجه ونفاد صبره بسبب اضطراره إلى محو الخطأ وطباعته من جديد. توقف ليفكر مجدداً، ثم وقف يختار كتاباً عن الرفوف. وبعد ذلك اقترب من النافذة وهو يقلب الصفحات. راقبته أليكسا وهي تشعر بالأمان تحت جناح الليل. بدا ضخماً على الغرفة. إنه بحاجة إلى غرفة يستطيع أن يذرعها جيئة وذهاباً فيما يرتب أفكاره فها هنا لا تستطيع ساقاه المديدتان إلا السير بضع خطوات.

راقبته ينكبّ على دراسة الكتاب، فأدركت أنه في غاية الجاذبية، بنظر النساء على الأقل. فارتفاع كتفيه يوحي بالقوة وزاوية ذقنه توحي بالعجرفة. إنه ممن يستطيع تولي مسؤولية كل ما يعترض طريقه. ألم يتولَ مسؤوليتها ومسؤولية والدها ذلك اليوم؟ وفكرت أنه قادر أيضاً على التعامل مع النساء. ارتجفت قليلاً إنما ليس من البرد. تقدمت أكثر من النافذة. إن في برايس شيئاً لم تجده في أي رجل. وهذا الشيء صعب عليها تحديده.. ربما جاذبية، أو رجولة عميقة؟

فتح برايس الباب الزجاجي بدون سابق إنذار وخرج إلى الشرفة ثم سأل بحدة:

ـ من هنا؟

تقدمت إلى دائرة النور تعرف عن نفسها:

ـ أليكسا.. كنت أتمشى في الحديقة.

ـ أرجو أن تكوني قد رششت نفسك بمضاد للحشرات أولاً، وإلا اكتشفت أنك غارقة بعقص البعوض.

ارتقت الدرج حتى الشرفة:

ـ أجل فعلت.. أرجوك لا تدعني ألهيك عن عملك.

ـ لا بأس في هذا، فالطباعة هي الجزء الممتع لي.. كيف حال والدك؟

مد يده إلى جيبه يخرج علبة السكائر، ويشعل واحدة.

ـ استيقظ، فأخبرته عن الحادثة.. ظننت أن من المستحسن ألا أخبره شيئاً عن قلبه. ما رأيك؟

ـ ربما أنت على حق.. تحدثي مع الدكتور جانتا في الصباح.

كانت أليكسا تستند إلى عمود يدعم الشرفة، فانتقل إلى جانبها، يميل إلى الأسفل ليسند مرفقه على السياج.

سألها: «كم كنتما تنويان البقاء في سيلان؟»

ـ لم يكن هناك وقت محدد. أراد والدي البقاء عدة أسابيع.

ـ عظيم! لن تقلقي إذن بشأن العودة سريعاً إلى انكلترا؟

ـ لا.

صمتا معاً إنما لم يكن الصمت الذي يحاول فيه أحد التفكير بما يقوله بل هو صمت متفاهم ضمنياً، أصغيا فيه إلى أصوات الليل الخافتة التي كانت تخرق السكون: خرير مياه في شلال صغير قريب.. وصيحة طير ليلي ينقض على فريسته.. كان برايس يدخن سيكارته فأنار وهجها خطوط وجهه الوسيمة.. لامس كتفه ذراعها فارتجفت لا إرادياً.

استقام برايس واقفاً:

ـ أتشعرين بالبرد؟

أحست بضيق غريب في حلقها، وتلعثمت: قليلاً.

- فلندخل إذن. قد لا تكون صدمة الحادثة قد ولّت عنك كلياً.

اقتادها عبر الباب إلى مكتبته، فاتجهت إلى الباب الداخلي، تنظر حولها باهتمام وهي تمر بالغرفة:

- أحس فعلاً بالتعب، رغم الراحة التي حظيت بها في...

تلاشى صوتها عندما رأت الخريطة بوضوح.. كانت لمنطقة أسماؤها غريبة، عليها خط طويل غير منتظم. لاحقت عيناها الخط ثم التفتت إلى عناوين بعض الكتب على الرفوف التي تغطي الجدار الأيسر.. التفتت تنظر إليه.

- أنت برايس هندريكس!

بدت التسلية في عينيه الرماديتين الزرقاوين، وقال بوقار:

- أعرف هذا.

- لكن.. أعني.. أنت برايس هندريكس، الكاتب.. لقد كتبت كتاباً رائعاً عن «جدار الصين الكبير».

- يسرني استمتاعك به.

- آه! ما أشدّ ما استمتعت به!

تركت يدها مقبض الباب وتراجعت خطوة إلى الداخل، وعيناها تومضان إثارة واهتماماً.

- لقد جعلته يبدو حياً حتى تقت للذهاب إلى هناك ورؤيته بنفسي.

تلاشت نظرة التسلية وهو يبتسم بسعادة حقيقية:

- شكراً لك.. لن أجد كلاماً يعجبني أكثر مما قلته الآن.

فجأة أحست بالخجل:

- واثقة أنك سمعت مثل هذا الكلام ملايين المرات.

ضحك: آه لا، ليس مليوناً..

قالت:

- قرأت كتابين آخرين.. وأود أن أقرأها كلها.. إنما هناك دائماً

لائحة انتظار طويلة لها في المكتبات.

قال والضحك ما يزال يرن في صوته:

- ربما تودين استعارة كتاب منها الآن، فلدي نسخ عنها جميعاً.

- شكراً لك.

اختارت كتاباً ثم التفتت إليه:

- هل تقوم الآن بتأليف كتاب عن سيلان؟

- لا.. فهذا كتاب عن جدار آخر.. جدار برلين.

عادت لها ثقتها بنفسها:

- أظن أن الحديث عن جدار، يقود إلى الحديث عن آخر.

تغيرت ملامح وجهه، وغرق في التفكير.

- شيء من هذا القبيل.. كان البشر يبنون الجدران والسدود لمنع الناس من الخروج أو الدخول. ثمة جدران كثيرة.. وحواجز كثيرة.

ولكنه رغم تذمره واحتجاجه، بنى لنفسه جداراً صغيراً، على الأقل بينهما قالت «عمت مساء» بصوت منخفض، لكنه لم يرد بل هز رأسه، شارد الذهن. كانت نظرته مركزة على الخريطة بجدارها الأحمر الكثيف، وكأنه خط من دم.. وعرفت أن أفكاره كانت بعيدة بعد القارات عن بعضها بعضاً.

***

www.liilas.com

Aml

٣ ـ فتاة خطيرة

خلعت أليكسا ثيابها بسرعة ودخلت إلى الفراش، تنوي القراءة مدة نصف ساعة. ولكنها رغم توقها إلى قراءة الكتاب، وجدت أنها عاجزة عن التركيز. فهي لم تقابل كاتباً من قبل، أو على الأقل أحد المشاهير لذا أثارتها الفكرة. تمنت لو سألته المزيد من الأسئلة عن عمله. لكن، ربما ستتمكن من طرح الأسئلة في وقت آخر، ولا شك أن أمامها فرصاً كثيرة بسبب إقامتها معه في المنزل نفسه، هذا إذا كان راغباً في الكلام..

أغلقت أليكسا الكتاب وتخلت عن أية محاولة للقراءة، ثم ضمته إلى صدرها، تحس بإثارة لا تسمح لها بالنوم. لقد حظيت الكتب الثلاثة الأخيرة لبرايس هندريكس بأفضل المبيعات، ولا شك لديها أن ما يكتبه الآن عن جدار برلين ليس استثناء.. ما أروع أن تعرف عن كتاب ما قبل أن ينشر! ربما قد يسمح لها برايس بقراءة المخطوطة، إنه حلم، وربما لا.. تحولت أفكارها إلى الواقعية، فعليها كونها ضيفة غير مدعوة إلى منزله أن تكون غير متطفلة وأن تبقى بعيدة عن طريقه ليتمكن من متابعة عمله بدون مقاطعة..

لم تكن أليكسا تعرف الكثير عن تأليف الكتب، تتصور أن الكتّاب يمضون ساعات طويلة بمفردهم بعيداً عن أي إزعاج. ولكنها تذكرت أن برايس قال لها إن الكتاب يكاد ينتهي، وإنه يكره الطباعة على الآلة

الكاتبة.. ربما هناك طريقة تصل من خلالها إلى قراءة مخطوطة الكتاب.. وربما تستطيع في الوقت نفسه رد شيء من جميل مضيفهما، وذلك بأن تعرض عليه طباعة مؤلفه. ومضت عيناها، وشدت على الكتاب من يدها، وأطفأت النور. استلقت في الفراش تشعر بالحر وبالإرهاق الشديد.. وكأن كل أطراف أعصابها وكل مسام بشرتها، تنتظر وتتوقع.. دام الإحساس هذا وقتاً، وانتهى عندما غطت في النوم.

كانت فكرة عرض المساعدة على برايس قوية إلى درجة أنها كانت أول ما تبادر إلى ذهنها عندما استيقظت في الصباح التالي. استحمت، وارتدت ملابسها بسرعة، ثم ارتدت أحد الفساتين الجديدة التي اشترتها خصيصاً لهذه العطلة، وبعد ذلك أضافت بعض الماكياج بحذر. كانت هناك مائدة معدّة للفطور على الشرفة خارجاً حيث يطل منظر يقطع الأنفاس، منظر التلال الخضراء المزروعة بالشاي. لكن، هذا الصباح، لم يكن لدى أليكسا أي اهتمام توليه للمنظر.. فبرايس غير موجود. التفتت إلى الخادم الأبيض البشرة وسألته عن مكان وجود سيده.

ـ خرج السيد برايس هندريكس، سيدتي.

ردت بصوت ملؤه خيبة الأمل:

ـ آه، وهل سيطول غيابه؟

ـ أظنه راجعاً عما قريب. رجاءً كيف ترغبين البيض؟

اختارت أليكسا البيض المخفوق وهي تشعر بالسعادة لأنها علمت أن برايس لن يغيب طوال اليوم.. أخذت تنظر إلى ما حولها فلاحظت مساحات صغيرة من الألوان البراقة بين شجيرات الشاي، حيث جماعات من النساء يعملن ببطء بين صفوفها، يلتقطن الأوراق ويضعنها في سلال كبيرة مربوطة إلى ظهورهن. بعدما أنهت فطورها

سلت نفسها بقراءة جريدة محلية بالإنكليزية، قدمها إليها خادم صغير وهي تشرب كوب قهوة آخر. . لكن حركة بين شجيرات الحديقة لفتت انتباهها. شاهدت برايس يتوجه نحوها متخذاً ممراً بين الأشجار. . خفق قلبها خفقة مجنونة، ومالت إلى الأمام بلهفة. . ولكنها تسمَّرت فجأة، لأنه لم يكن بمفرده إذ معه فتاة. . فتاة صغيرة الحجم من أهل البلاد، رشيقة القوام ذات عينين سوداوين كبيرتين، وبشرة دكناء صافية. ما إن اقتربا حتى رأت أليكسا أن الفتاة جميلة وأنها تتطلع إليها عن كثب أيضاً وأن على وجهها نظرة عداء ظاهر.

غير أن تلك النظرة تلاشت بعدما أخفضت الفتاة عينيها، ولحقت ببرايس بكل احتشام مرتقية على الدرج وصولاً إلى الشرفة.

- صباح الخير. . كيف حالك اليوم؟

ابتسمت أليكسا غصباً وهي تشعر بفضول شديد بشأن الفتاة الصامتة الواقفة إلى جانبه، ولكنها حاولت ألا تظهر فضولها هذا.

- أنا بخير، شكراً لك.

- أتشعرين بالتوعك إثر الحادثة؟

هزت رأسها:

- لا. . أبداً.

- عظيم. . وكيف حال والدك؟ هل ذهبت لرؤيته؟

- لا. . فكرت أن أترك عيادته إلى ما بعد زيارة الطبيب. ألن تنضم إليّ؟

كانت الفتاة السيلانية تقف خلفه، لكنه مد يده إليها يجرها إلى الأمام:

- لقد تناولت الطعام. على فكرة، هذه هيما. . إن احتجت شيئاً فاطلبيه منها وهي تهتم بالأمر.

ضمت الفتاة التي دعاها هيما يديها وأحنت رأسها بالطريقة

التقليدية التي ملؤها الاحترام.

- أيوبوان.

ردت أليكسا التحية: «أيو بوان».

وأحست بالرضى عندما رأت وميض عيني الفتاة الدهشة من حسن نطقها.

قال برايس: «أعذريني، لدي موعد».

أبعد يده عن ذراع الفتاة، وتحرك ليبتعد ولكنه توقف عندما سارعت أليكسا تقول بلهفة:

- أردت التحدث إليك. . لأطلب منك شيئاً.

ارتفع حاجبه الأيسر متسائلاً: «نعم؟»

ترددت وهي تنقل بصرها منه إلى هيما:

- أنا. . آه. . ربما أراك بعد عودتك؟

- حسن. . لن أغيب سوى ساعة، وفي هذه الأثناء ستعتني هيما بك.

رفع يده محيياً ثم دخل إلى المنزل بسرعة، تاركاً الفتاتين بمفردهما. لم تحاول هيما أن تتكلم فكان أن أجبرت أليكسا نفسها على القول:

- أعتقد أنك تعملين للسيد هندريكس؟

ارتجف جفنا الفتاة، وترددت لبرهة قبل أن تقول بلهجة ظنت أليكسا أن فيها شيئاً من السخرية:

- أجل. . آنسة.

- حسناً، لا أريد شيئاً الآن. شكراً لك، من الأفضل. . أن تتابعي عملك.

ما زالت تحتفظ أليكسا في ذاكرتها صوت أمها وهي تعطي التعليمات للخدم حيث كانت تقول لهم «من الأفضل إداء واجباتكم»

لكنها فكرت كم هذا بعيد عن واقع اليوم.

ارتدت هيما مبتعدة بدون محاولة إعطاء انحناءة الاحترام، في غياب برايس.

نظرت أليكسا في الصحيفة، متسائلة عن وضع هذه الفتاة في منزل برايس.. و.. حياته! تذكرت الفتاة التي كانت تنتظر أمام الباب عندما وصلت إلى هنا ولكنها كانت مصدومة في ذلك الوقت فلم تلاحظها كثيراً.. كل ما تذكره أن برايس أرسل الفتاة بسرعة لتحضير سرير لوالدها، ومذ ذاك لم ترها.

نظرت أليكسا إلى الحديقة.. فلم تستطع إلا التفكير في أن من الشاذ رؤية هيما وبرايس قادمان من ذلك الاتجاه.. ربما كانا يلقيان نظرة على الحديقة، أو ربما يتمشيان معاً وهما يتحدثان عن شؤون منزلية. لكن، في هذه الحالة، كان عندهما وقت طويل للحديث.. فهي لم ترهما يخرجان.

طوت الصحيفة ونظرت حولها بسرعة، لتتأكد من أن هيما لا تراقبها، ثم وقفت لتنزل درجات الشرفة إلى الحديقة.. حيث سارت في الاتجاه الذي شاهدتهما قادمان منه.

كانت الحديقة متعة للنظر في النهار بمقدار ما هي متعة للأحاسيس في الليل.. ولكن أليكسا لم تكن للمرة الأولى مهتمة بالجمال حولها. كانت تسير بسرعة على العشب المرتفع بين الأشجار حتى وصلت إلى جدار يحيط بالحديقة. كان الجدار مرتفعاً وعلى أطرافه العليا زجاج مكسور.. التف الطريق حول كتلة متشابكة من الشجيرات المعترشة الملاصقة للجدار، ومن ورائها بدت بوابة صلبة مثبتة في عمق الجدار والمفتاح في القفل.

حاولت أليكسا فتح البوابة بالشد على المقبض، لكن من مرّ بها قبل فترة أقفلها بالمفتاح. أدارت المفتاح، فانفتحت البوابة بسهولة

وصمت.. تابع خلف البوابة الممر انسيابه في حقل فيه بعض الماعز المنكب على التهام العشب. أكملت المسير فوصلت إلى ممر آخر يمر أمام بضع بيوت محلية متباعدة، يلعب أمامها أطفال حفاة الأقدام في الوحل.. لم تخرج إلى هناك، بل وقفت تنظر فترة، ثم أقفلت البوابة بالمفتاح وعادت عبر الحديقة.. ربما هذا الممر طريق مختصرة لخدم برايس ممن يسكنون تلك المنازل.. ولا شك أنها توفر عليهم مسيرة طويلة حول الطريق.. وربما كان برايس يزور شخصاً في هذه المنازل ومن هناك عادت هيما معه.. ربما.. آه!

هزت أليكسا رأسها غاضبة من نفسها.. إنها تفكر في أمور لا أساس لها بدل التفكير في ما هو أكثر من واضح.. على أي حال.. ما شأنها وبرايس؟ ألا يعيش الرجل بمفرده منذ سنتين، لذا ليس مستغرباً أن يقيم علاقة من نوع ما مع امرأة ما.. حقاً لا شأن لها في حياته وعليها ألا تفكر فيه مرة ثانية. هكذا لم تعد أليكسا تفكر فيه طوال الصباح.

جاء خادم يبحث عنها، ويقول إن الدكتور جانتا وصل.. بعدما عاين والدها جاء يقول إن والدها في حالة ضعف وهذا يعني أن بضعة أسابيع قد تمر قبل أن يصبح قادراً على مشقة سفر طويل.

فسألته أليكسا:

ـ كم من الوقت سيحتاج قبل أن يستطيع الانتقال إلى الفندق؟

مط الطبيب شفتيه:

ـ يصعب أن أجزم. على الأقل أسبوعان. والواقع أنني أفضل ثلاثة لنكون مطمئنين، فأقرب الفنادق هو في «نوارا إيليا» التي هي أفضل مكان لإقامته لأنها غير حارة كحال الساحل.. إنما هل أنت على عجلة من أمرك؟ ظننت أنك اتفقت على هذا مع السيد هندريكس؟

عاد برايس دون أن يسمعاه فسمع الجملة الأخيرة.

ـ وما الذي اتفقت عليه مع السيد هندريكس؟

سرعان ما فصّل الطبيب له ما جرى قبل أن يصل، فنظر إليها نظرة عميقة:

ـ بالتأكيد يستطيع السيد ويلموت البقاء هنا حتى تتحسن صحته.. إلا إذا..

التفت إلى أليكسا: هل تكلمت مع والدك هذا الصباح؟

هزت رأسها: «لا».

ـ هكذا إذن.

مد يده إلى الدكتور جانتا: «شكراً لقدومك.. هل نراك غداً؟»

تصافح الرجلان ورافقه برايس إلى الخارج.. عندما عاد، توقف ينظر إليها للحظات، ثم قال:

ـ أنا آسف إن وجدت المكان مضجراً.

ردت، تؤكد له: «ليس الأمر كما تقول. لا أشعر بالضجر أبداً.. الأمر أنني لا أريد أن أفرض عليك ضيافتنا. فنحن في كل الأحوال غريبان، ولا حق لنا..»

قاطعها برايس: «لكننا بريطانيون، وبعيدون عن وطننا.. ألا ترين أن ذلك يعطيك بعض الحق؟»

ردت صادقة: لا.. ليس حقاً.. ما كان على والدي المجيء إلى هنا وقلبه ضعيف هكذا.

تحرك برايس في الغرفة وجلس في مقعد مريح:

ـ ربما لديه سبب دفعه إلى العودة. شيء ما يجب أن يفعله رغم مرضه.. أو ربما بسبب مرضه.

جلست أليكسا في مقعد قريب: «ما قصدك؟»

هز كتفيه: «يشعر الرجال غالباً بعد مرض ما أن عليهم ترتيب شؤونهم قبل أن يعاودهم المرض، أو يشعرون بالحاجة إلى تحقيق حلم العمر قبل أن يفوت الأوان».

توقف ليشعل سيكارة، أما أليكسا فحاولت استيعاب ما يقول.

أضاف: «ألم يذكر سبب رغبته في العودة إلى هنا؟»

ـ قال إنه يريد رؤية الجزيرة مرة أخرى حين يستعيد عافيته بعد المرض.

ـ هذا كل شيء؟

ـ أجل.

ـ غريب.

نفث الدخان ثم سأل:

ـ أعن هذا الأمر أردت محادثتي؟

ـ أوه.. لا.. الأمر أنني.. ليلة أمس، سمعتك تحاول الطباعة.. و..

ارتفع حاجبه الأيسر قليلاً: «أحاول الطباعة؟»

ـ حسناً.. أجل.. بإمكان الطابعة المدربة أن تعرف متى يطبع أحدهم حرفاً في كل مرة.

ابتسم برايس: «أنت على حق. أنا لا أجيد الطباعة.. آسف.. لقد قاطعتك، ماذا كنت ستقولين؟».

ـ كنت أتساءل عما إذا كان بإمكاني أثناء وجودي في المنزل أن أقدّم يد المساعدة بالطباعة.. سرعتي جيدة جداً، وليس لدي أخطاء كثيرة.

اختفى صوتها وقد فاجأها بنظرة حذرة..

قال: «هذا لطف كبير منك، ولكنك في إجازة. أنت لم تشاهدي شيئاً من البلاد.. يجب أن تستقلي السيارة وتنطلقي لمشاهدة كل المواقع السياحية».

ترددت أليكسا: لكنني سأحب العمل لك.

عادت تلك النظرة الثاقبة: «لماذا؟»

جاهدت لتعطيه سبباً:

ـ لأنني.. لأنني، أحب أن أرد لك شيئاً من لطفك ومعروفك.

قاطعها بحدة: «لا أريد أن تردي لي معروفي».

ارتفع رأسها بحدة:

ـ حسناً! ما زلت أحب أن أعمل عندك.

رأت ومِيض التسلية في عينيه، وسأل:

ـ والسبب الآخر الذي كنت على وشك قوله لي؟

ـ ماذا..؟ آه! حسناً.. أحب أن أعمل سكرتيرة لدى كاتب حقيقي، لأشعر أنني شاركت ولو بمقدار قليل بإنتاج كتاب.

ابتسم: «أتحبين الكتب أليكسا؟»

ـ أوه.. أجل! أنا أقرأ في كل مكان.

ـ حتى في الحمام؟

ضحكت: «خاصة في الحمام».

ضحك أيضاً فشعرت بقلبها يخفق خفقاناً مثيراً.

ـ حسن جداً.. لقد حظيت بعمل، كانت تعمل عندي امرأة تتولى أمر الطباعة، ولكن زوجها أصيب بالملاريا، فاضطرت إلى ملازمته في البيت للعناية به. الواقع أنني سأكون أكثر من مسرور بالتخلي عن محاولة الطباعة بأصبعين.. مع ذلك يجب أن تشاهدي شيئاً من معالم الجزيرة.. بل يجب أن تعيشي وكأنك في إجازة..

وقف: الآن.. أتوقع أنك تريدين زيارة والدك؟

سألت بحماس: «ومتى أبدأ العمل؟»

ضحك برايس مرة أخرى، وأمسك بذراعها وهي تنهض:

ـ لا تكوني ملهوفة هكذا! فقد تجدينني بلا رحمة!

ـ آه! واثقة أنك عكس ذلك.

أحست فجأة بأن حنجرتها جفت، وهي تتساءل كيف سيكون الأمر

إن كانت حقاً عبدة له، فأضافت بصوت خفيض متهدج:

ـ هل ستكون بلا رحمة؟

ترك ذراعها وارتدَّ على عقبيه، ربما لم يسمع سؤالها، وهذا من حسن حظها. فتح لها الباب ثم ذهب إلى مكتبته، أما هي فتوجهت إلى غرفة أبيها وقرعت الباب.. ابتسمت الممرضة مرحبة ولكن رالف ويلموت، الجالس في السرير، المستند إلى الوسائد، هز لها رأسه بحركة سريعة.

ـ صباح الخير أبي

لم تحاول تقبيله فحتى لقب «أبي» خرج من فمها بصعوبة.

ـ تبدو أفضل حالاً اليوم.

لم يرد، فحاولت مجدداً:

ـ هل تريد مني القيام بشيء؟ كأن أقرأ عليك قليلاً؟

قال بخشونة: «عيناي بخير.. ولو أردت القراءة لقدرت».

ردت أليكسا ببرود: «أجل.. بكل تأكيد.. إذن لا تريد مني شيئاً؟»

عبس: «انتقلت أغراضنا التي تركناها في «كاندي» إلى هنا كما أعتقد؟».

ـ أجل.

ـ هل ذهبت أنت لإحضارها؟

ـ لا.. بل أرسل السيد هندريكس سائقه.. هناك من حزمها في الحقائب في الفندق.. لماذا؟ هل فقدت شيئاً؟

تجاهل السؤال:

ـ وهل أفرغت حقيبتي؟

ـ لا.. بل أفرغت حقيبتي. لا أعرف من أفرغ حقيبتك.. أظنه رئيس الخدم.. لماذا؟

بدا أن شيئاً من توتره تلاشى، فاسترخى قليلاً على الوسائد:

ـ ليس للأمر أهمية، كنت أتساءل ليس إلا.

نظرت أليكسا إلى والدها تحاول معرفة ما الذي يريد إخفاءه عنها. دفعتها طرقة حادة على الباب إلى فتحه.

سأل برايس: «هل والدك بخير لأقابله؟»

ـ أجل، تفضل.

ارتدت إلى الوراء لتفسح له المجال، ثم أغلقت الباب وقامت بالتعارف.. بدا أنهما يقيّمان بعضهما بعضاً.

لم يمكث برايس طويلاً، وفي هذه الفترة أكد للمريض ترحيبه به في المنزل، ثم طلب منه عدم الامتناع عن طلب ما يريد.

أضاف: «وعندما تشعر بأنك بت في حال أفضل فعليك أن تخبرني عن حياتك التي أمضيتها في سيلان في الأيام الخوالي.. أخبرتني أليكسا أنك كنت مدير مزرعة شاي، وأنها ولدت هنا.. من المؤسف جداً أنك لن تتمكن من الطواف بها حول الجزيرة. ولكن، سأحاول أن أجعلها ترى شيئاً من الجزيرة».

هز والدها رأسه. من الواضح أنه لا يكترث بما تراه أو لا تراه، وهذا ما جعل برايس يعبس ولكنه سرعان ما تماسك قليلاً وقال:

ـ هذا لطف منك، حقاً. إنما يجب ألا تدع أليكسا تزعجك، بإمكانها الذهاب والبقاء في فندق أو منزل حتى أستعيد صحتي.

شحب وجه أليكسا بسبب فظاظته، وقالت لبرايس متوترة: «اعذرني».

ثم ارتدت على عقبيها تخرج من الغرفة.

سرعان ما لحق بها برايس إلى الحديقة، حيث خرجت لتحاول التنفيس عن غضبها بالمشي.. نظر إليها بعفوية خادعة وراحت عيناه تستوعبان كل شيء، غضبها وارتباكها.

اقترب منها ثم قال:

ـ أعرف أن لا شأن لي في حياتك، إنما قد يريحك التحدث إليّ.

كانت تحب فعلاً أن تتكلم عن الأمر. لكن كيف ستشرح له كراهيتها لأبيها، وعلاقتها به التي لا أساس لها غير رابطة الدم، ورحلة انطلقا فيها لأسباب أنانية من جانب كل منهما. هي لا تعرف عذر والدها بل الواقع أنها بدأت تخاف منه.. هزت رأسها لتقول: «ليس هناك شيء».

ـ كيف تقولين ذلك بعدما أوضح والدك أنه لا يريد صحبتك بل رأيته يكلمك وكأنك غير موجودة؟

خضب لون أحمر براق وجنتيها، ونظرت إليه بعينين قاتمتين تعستين، وقالت متوسلة:

ـ أرجوك.

تابع برايس النظر إليها عابساً، ثم بدأ فجأة يخبرها عن زيارته للصين، التي قام بها عندما كان يقوم ببحث عن «الجدار العظيم».. تكلم فترة طويلة وهما يسيران ببطء في الحديقة. عندما مد يده ليبعد عنها غصناً معترشاً من «البوغنفيلا» الليلكي اللون، توقف ليقتطع ضمة من الزهر التي قدمها لها. ثم تابع كلامه بانطلاق وسهولة دون أن ينظر إليها، وكأنه يقصد أن يمهلها الوقت لتسترد روعها. نظر أخيراً إلى ساعته، ثم إلى وجهها فرأى أنها تصغي باهتمام إلى قصته، فقال بحزم:

ـ وقت الغداء.. سأخبرك ما تبقى أثناء وجبة الطعام.

بعد الغداء رافقها إلى مكتبه، وأفسح لها مكاناً على طاولة جانبية.. فأدهش أليكسا أن تجد الآلة اليكترونية حديثة..

سألها: «أيمكنك استخدامها؟»

ـ أجل، لكنها ليست الآلة التي كنت تستخدمها ليلة أمس، صحيح؟

ـ لا . . فلدي أخرى قابلة للنقل، أحملها متى أردت. أستطيع استخدامها بشكل أفضل.

حمل إليها أوراقاً ثم أضاف:

ـ هذا ما كنت أعمل عليه، إنه الفصل الثالث من الكتاب. . لقد راجعته وقمت بتغييرات كثيرة، وكنت أعيد طباعته. . إنما لو توليت الأمر نيابة عني لوجدت الأمر رائعاً.

ابتسمت أليكسا: «أظنني قادرة على هذا!»

قال بحرارة، جعلتها تتوهج في داخلها:

ـ فتاة طيبة! إن وجدت ما فيه صعوبة فناديني.

ـ المشكلة الوحيدة أنني قد أهتم بما أطبع، فأتوقف لقراءته.

ضحك لها، وذهب إلى طاولته الكبيرة حيث كان هناك كومة أوراق أخرى بدأ يراجعها ببطء.

حاولت أليكسا العمل بهدوء، خائفة أن تزعجه. ولكن الآلة الأليكترونية كانت تصدر صوتاً خفيضاً جداً بدا معتاداً عليه، لأنه تابع الكتابة بثبات. . أحست بالهدوء والرضى حيث تعمل والشمس تتدفق من النوافذ المفتوحة، إلى الغرفة الصامتة. . كان الكتاب يحوز على اهتمامها فلم تجد صعوبة تذكر في فهم خطه الأسود الكثيف، مع أنها بعد فترة، غشته مطالبة إياه أن يفسر لها شيئاً. تقدم إليها فوراً، لكنه لم ينحنِ فوقها، بل أدار الورقة بحيث يستطيع قراءتها، ثم شرح لها ما يعنيه وما يريد أن يوحي به. . وهذا ما لم تتوقعه، لكنه لم يفسد عليها بعد ظهر ذلك اليوم أبداً.

توقفا عن العمل في الرابعة والنصف ليخرجا إلى الشرفة لاحتساء الشاي الذي قُدم لهما في فناجين من الخزف الصيني الفاخر. أصرّ عليها برايس أن تجرب الشاي على الطريقة السيلانية أي بدون سكر أو حليب.

مرر لها فنجاناً ارتشفته مجرّبة، ثم كشرت وجهها:

ـ أظن أن معدتي معتادة على الطريقة الإنكليزية! ولا أظنني قادرة على تقبل هذا.

ـ جربي مرة أخرى. . ستعتادين عليه بعد حين.

ضحكت وانحنت لتطيعه ولكن الفنجان توقف في منتصف الطريق لدى خروج هيما إلى الشرفة. . جلست معهما حتى بدون أن تنتظر دعوة. ومض شيء في عيني برايس ولكن سرعان ما زال وهو يصب فنجاناً ثالثاً للفتاة. . أخذت ترشف بخفة ورشاقة، ثم، وكأنما سألها سؤالاً صامتاً، هزت رأسها لتقول:

ـ أجل. . هكذا أحبه.

التفت برايس إلى أليكسا، وقال بعذوبة:

ـ يجب أن تري رقص هيما ذات مساء. . فالسيلانيات يرقصن رقصاً وطنياً خاصاً، وهي رائعة فيه. . إنها تشارك أحياناً راقصات «كادايان» للرقص الشعبي، وهن يرقصن للسياح.

قالت أليكسا بتكلف: «إن هذا مثير للاهتمام».

سألت هيما منذ متى ترقص، وكان في عقلها تساؤل يتعلق ببرايس وبوقت لقائه بهيما ترى أذهب كسائر السواح لمشاهدة الرقص فاختارها، ثم صحبها إلى هنا لتكون. . عشيقته؟

ردت الفتاة: «منذ عدة سنوات. . يجب أن تبدأ الفتاة الرقص وهي طفلة صغيرة لتتعلم كل الحركات، وكل الرقصات فهي حركات دقيقة تتطلب براعة كبيرة ورشاقة».

قالت كلماتها هذه بلهجة مؤدبة لا لون لها، ولكن رافقها شيء من الامتعاض.

وضعت أليكسا فنجانها ثم نهضت قائلة:

ـ أخشى أنني لن أعتاد على هذا الطعم. هلا سمحتما لي! أريد

العودة لإنهاء طباعة الفصل الذي كنت أطبعه.

ـ لا حاجة لهذا.. تنهينه غداً.

آبتسمت له: «لكنني أرغب في إنهائه».

هزت رأسها لهيما، ثم تركتهما بمفردهما. في المكتبة، لم تبدأ الطباعة حالاً، بل التقطت غصن الزهر الذي اقتطعه لها برايس، والذي وضعته في وعاء صغير مملوء ماء على منضدتها. نظرت إليه ثم راحت تمرر إصبعها عليه، تتذكر كم استمتعت بالسير معه، وكيف تغير كل شيء حالما ظهرت هيما.. لم تكن أليكسا معتادة على رجال محنكين، وسيمي الطلعة، لذا أدركت أنها تجد برايس مثيراً وجذاباً، ولعل شهرته تزيد من جاذبيته. ولكن وجود هيما كان يردها دائماً إلى أرض الواقع. حاولت أليكسا التفكير بتعقل، تقول لنفسها إن برايس يتصرف بلطف معها، وإنه غير مهتم بها كامرأة، بل كشخص يعاني من مشكلة! ولكن هذا التفكير لم يوقفها عن الانجذاب إليه.. تنهدت وقالت لنفسها: من الأفضل لك يا فتاة، لو عاملته على أنه مضيفك ورئيسك المؤقت..

فجأة تناهت إليها عبر النافذة المفتوحة قهقهات صادرة عن برايس وهيما. شعرت بأن قهقهات الفتاة مرتفعة رغم عدم الحاجة إلى ذلك، وكأن الفتاة تريد منها أن تسمع.. توقفت أناملها المتطايرة على مفاتيح الآلة ثم تابعت ببطء.

بعد قليل سمعت وقع أقدام على الشرفة، فأدارت رأسها فرأت برايس واقفاً أمام النافذة.. كانت الشمس توشك أن تغرب وكان ظل جسده الطويل القوي، منعكساً على السماء الحمراء الذهبية.. مد ذراعه يتكيء على الإطار الخشبي وقال:

ـ لن أتعشّى معك الليلة أليكسا.. فالحكومة تبني سداً كبيراً على التلال، وهناك عدد كبير من الأوروبيين الذين يعملون في المشروع. ولقد شكلوا نادي اغتراب، أقصده أحياناً مرتين في الأسبوع. سأطلب

من هيما إن أردت البقاء معك هذا إذا كنت لا ترغبين في الانفراد بنفسك.

وقفت أليكسا بحدة: «لا، لا تطلب منها ذلك».

ـ حسناً.. توقفي عن الطباعة الآن.. لقد حلّ الظلام فلا ترهقي عينيك.

دخل إلى الغرفة مقترباً منها ولكنها لم تستطع أن ترى وجهه بوضوح لأنه كان واقفاً أمام توهج السماء في الخارج..

سألته بشكل متهور: «من هي هيما؟»

وقفت تحدق إليه منتظرة رده، فنظر إليها متأملاً ثم قال ببطء: «هيما جزء من إيجار المنزل».

وماذا يفترض بها أن تفهم من هذا الرد؟ وقبل أن تضيف شيئاً آخر وضع يده بعفوية على كتفيها قائلاً:

ـ سأضع سيارة وسائقاً يتقن الإنكليزية تحت تصرفك غداً.. فكري الليلة في الأمكنة التي ترغبين أن يقلّك إليها. هناك المدينة البوذية القديمة «انورادابورا» أو «سيجيرايا» صاحبة أجمل المناظر، هذا إن كنت لا تخشين تسلق قمة تلالها. سأترك لك بعض الخرائط لتدرسيها عن كثب.

ـ شكراً لك.. ألن.. تتمكن من مرافقتي؟

كانت يده ثابتة على كتفها، وأحست أنه يتردد لحظة، ثم سحبها ليهز رأسه:

ـ أنا آسف. أريد الانكباب على الكتاب غداً.

ـ إذن سأبقى لأساعدك.

هز رأسه مرة أخرى:

ـ لا.. بكل تأكيد! فهذه عطلتك يجب أن تخرجي غداً على أن تساعديني في يوم آخر.

كانت لهجته حاسمة قاطعة، فأدركت أليكسا أنها لن تستطيع مجادلته.

ـ حسناً.. شكراً لك.

ـ عظيم! قد لا أعود على الأرجح إلا في وقت متأخر. أراك غداً إذن. اعتذري نيابة عني لوالدك.

رفع يده محيياً ثم ترك أليكسا ترتب الأوراق التي كانت تطبعها. شعرت بأنها منبوذة لمجرد التفكير بقضاء أمسية بمفردها.. لكن انفرادها بنفسها، هو أفضل من البقاء مع هيما عدة ساعات.

بعدما تناولت وجبتها وحيدة، ذهبت ترى أباها الذي وجدته جالساً في السرير يقرأ.. كان على وجهه بعض اللون. بدا أفضل حالاً.. مع أنه ما يزال غير راض عن وجودها معه.. تساءلت بمرارة لماذا أزعج نفسه باصطحابها إلى سيلان ما دام لا يريدها. أما كان من الأفضل له استئجار ممرضة لتكون مرافقة له؟

ما إن دخلت إلى غرفة الجلوس حتى جلست في مقعد عميق ذي مسندين، تحمل كتاباً أقرضها إياه برايس، وهو أحد مؤلفاته، وسرعان ما استحوذ على اهتمامها فضاعت عما حولها وغرقت فيه فقد أسرها حتى نسيت مرور الوقت.. دخل الخادم إلى الغرفة، ووضع كوب عصير على الطاولة الصغيرة قربها ولكنها لم تلحظه، مع أن يدها امتدت بشكل لا واع لترفع الشراب وتحتسيه. تفاقم هدوء المنزل بعدما خرج الخدم إلى منازلهم ولكنها تابعت القراءة، غير قادرة على ترك الكتاب.

كانت الساعة تكاد تبلغ الثالثة صباحاً عندما عاد برايس الذي لاحظ النور مضاء من تحت باب غرفة الجلوس.. دخل ليستطلع الخبر فوجدها جالسة في بحيرة من الضوء، ترميها عليها مصابيح منتصبة وأمامها بضع صفحات من الكتاب حتى تنهي قراءته ولكنها لم تنتبه إلى عودته لذا تسنى له الوقت حتى يقترب منها لينظر إلى عنوان الكتاب

فجأة شهقت مرعوبة لأنها شعرت أن شخصاً آخر معها.

ـ آه.. هذا أنت! أرعبتني.

ـ أتعرفين كم الساعة؟

نظرت إلى ساعتها:

ـ لماذا؟ يا إلهي! إنها الثالثة.

قال آمراً: «اتركيه حتى الغد».

ـ هل أنت مجنون؟ لن أتمكن من النوم وأنا أتساءل عن النهاية. اتركني لأتمكن من إنهائه بهدوء.

ضحك برايس، وتقدم إلى إبريق العصير ليصب لنفسه كأساً. ثم جلس في كرسي قبالتها يراقبها بصمت، وهي تتابع القراءة. أخيراً قلبت الصفحة الأخيرة، وأقفلت الكتاب متنهدة تنهيدة عميقة ملؤها الرضى. أحست بوجوده مرة أخرى، فنظرت إليه والرهبة في عينيها الزرقاوين، لتقول بإجلال:

ـ كان كتاباً رائعاً.. إنه من أفضل الكتب التي قرأتها.. آه.. كم أتمنى لو أستطيع الكتابة!

ـ وهل حاولت مرة؟

هزت رأسها: «أعرف أنني لا أستطيع».

ـ لن تعرفي ما يمكنك فعله حتى تجربي.

ـ أعرف أنني لا أستطيع.. كيف بدأت الكتابة؟

وقف يضع من يده كأسه الفارغة.

ـ إنه وقت غير مناسب لمراجعة قصة حياتي..

دنا منها، يمسك ذراعيها ويشدها لتنهض.

ـ اذهبي إلى الفراش.. ستكونين..

صمت عندما ترنحت فقد كانت ساقاها مخدرتين بسبب بقائهما تحتها مدة طويلة.

أمسكها ليثبتها: «حذار».

تعلقت أليكسا بأكمام سترته، وقالت ممازحة:

ـ ساقاي نائمتان!

امتلأت خياشيمها برائحة التبغ وبعطره. تحركت لتثبت نفسها، فاندست يدها في سترته وهناك شعرت بضربات قلبه تحت راحة يدها. رفعت عينيها ببطء فوجدته ينظر إليها وعيناه الرماديتان الزرقاوان تومضان أمام نور المصباح.. قطع إحساس غريب أنفاسها وبلغ حنجرتها، وملأ صدرها..

قالت بصوت مرتجف، وبصوت مخنوق: «برايس؟».

التفت ذراعاها حول عنقه بشكل لا إرادي. تابع تحديقه إليها لحظة قبل أن تشتد ذراعاه حولها بعنف.. اضطربت أحاسيس أليكسا، وسبحت لبرهة في غبطة عارمة، وبدأت تتجاوب مع عناقه مستسلمة لذراعيه.

لم تعرف كم دام عناقهما. ولكنها شعرت بأنه كان وقتاً قصيراً بل قصيراً جداً. رفع رأسه وخفف من ضغط ذراعيه.. ولكنها ظلت واقفة، وذراعاها حول عنقه، وعيناها نصف مغمضتين. عندما لم يعاود ضمها مجدداً دنت منه ولكنها سمعت ضحكة خافتة وشعرت بأصبعه على خدها:

ـ هيا أيتها السيدة الصغيرة، لقد حان أن تنام الفتيات الطيبات.

تعرفت أليكسا إلى السخرية في صوته، وعرفت أنه لن يضمها ثانية، وأن عناقه عناق عابر، ولكنها قررت إزعاجه قليلاً فأبقت ذراعيها حول عنقه، وقالت عابسة بشكل مثير:

ـ وهل هذا اقتراح من نوع ما.. سيد هندريكس؟

ضحك: «هل تذهبين إلى الفراش أم أحملك إليه؟»

ـ آه.. لا شك لدي الآن أنه اقتراح حقيقي.

ـ الفتيات اللواتي لا يطعنني، يواجهن المخاطرة بوضعهن على ركبتي لأصفعهن.

اتسعت عينا أليكسا: «واو.. تصرف رجل حقيقي.. هه؟ يصبح الأمر أكثر إثارة للاهتمام في كل دقيقة!»

ضحكت عيناه لها بمرح حقيقي، مد يديه إلى فوق يجذب ذراعيها عن عنقه، ليبعدها عنه قليلاً:

ـ أتساءل عما ستفعلينه لو طلبت منك حقاً شيئاً.

أحست أليكسا بضيق في صدرها مجدداً وهي تتذكر عناقه، وقالت بصوت أجش من العاطفة:

ـ لا أدري.. لماذا لا تجرب، في وقت ما؟

فتشت عيناه في وجهها ولكنه سارع إلى ممازحتها مجدداً: «ربما أفعل في وقت ما..»

أشاحت بصرها بسرعة، ثم رفعت يدها تتظاهر بالتثاؤب:

ـ أنت على حق.. أنا متعبة.. تصبح على خير برايس.

ـ تصبحين على خير.

قبل أن تصل إلى الباب، توقفت لحظة لتنظر إليه.. فتلاقت عيونهما برهة، ثم التفت برايس عامداً ليطفىء النور.

خلعت ملابسها في غرفتها بسرعة، خشية أن توقظ والدها الذي تجاور غرفته غرفتها.. اندست في فراشها حيث تناثر شعرها الأشقر على الوسادة البيضاء. في ليلة أخرى كانت ستفكر في الكتاب الذي أنهته لتوها، أو في التخطيط لبرنامج نزهتها غداً. ولكن الليلة ليلة غير عادية ففيها عانقها برايس هندريكس.. ولن تتمكن من التفكير أبداً في شيء آخر. ليست أليكسا قبيحة أبداً. كان عندها عدد كبير من الأصدقاء الذين منهم المتهور والرزين.. ولكن، كان جميع من تعرفت إليه يتلاشى أمامها وأمام عناق برايس العفوي. لقد تركته يعرف

أنها ترغب في عناقه، وقد أطاع.. الأمر بسيط هكذا.. وتنتهي القصة.. ولكن عناقه كان مدمراً بحيث رغبت في أن يدوم أطول مدة ممكنة..

أحست بحرارة شديدة تجتاح جسمها، فدفعت عنها الغطاء.. إذا كان هذا عناقاً عفوياً.. فكيف سيكون الأمر لو رغب حقاً في عناقها؟ جعلتها الفكرة تستدير بقلق فوق الوسادة.. إنها حمقاء. الواضح أن لديه تلك الفتاة، هيما، التي تهتم بجميع رغباته.. مع أنها، لا تظن أن بينهما روابط عاطفية قوية، على الأقل ليس من جهة برايس.. الواضح أيضاً أن هيما تظهر حب التملك نحوه وترفض وجود من قد تشكل منافساً لها.. لقد أوضحت هذا بأمتعاضها من أليكسا.. لكن هل يحبها هو أيضاً.

ربما، فإن كانا حبيبين منذ سنتين، فلن تكون مشاعرهما ظاهرة كثيراً. ارتدت على وجهها مكتئبة.. أطبقت أصابعها على الوسادة بشدة. لم يضمها أحد بمثل هذه الحرارة ولكنها ستراه غداً والغد قريب.

لكنها لم تكد تراه في اليوم التالي، فقد استيقظت متأخرة لتجد أن برايس قد تناول فطوره وتوجه إلى مكتبته، وما إن جلست إلى الطاولة حتى جاء سائقه، الذي يتقن الإنكليزية، فسألها عن الأمكنة التي تود زيارتها. وكانت قد نسيت أن عليها قضاء اليوم في مشاهدة معالم البلد، مع أنها تفضل لو تقضي يومها في العمل جنباً إلى جنب مع برايس. ولكنه رفض، ولم تصرّ فآخر ما تريد أن يظنه أنها تلاحقه. اختارت بضعة أماكن عن غير سابق تصميم. بعد تناول الطعام، أخذت حقيبتها وآلة التصوير، وودعت أباها، ثم ترددت أمام غرفة برايس، ولكنها ما لبثت أن فتحت بابها لتقول بإشراق: «جئت أودعك».

ظلّ جالساً وراء مكتبه ولكنه قال بدون أن يرفع نظره.

ـ وداعاً.. استمتعي بيومك.

ـ أتريد أن أشتري لك شيئاً ما طالما السيارة معي؟.

رفع بصره إليها دهشاً: «لا، لا أريد شيئاً».

ـ حسناً. أراك وقت العشاء إذن.

لكن عينيه عادتا إلى عمله مجدداً. أغلقت الباب وهي تحس بالغباء.

السيارة مكيفة.. ولكن بسبب الحرارة الشديدة طلبت من السائق التوقف في «كاندي» ليدخلا إلى مطعم حتى يتناولا فيه مرطباً. نظرت من مكانها إلى الجزيرة التي كان يستخدمها الملك مركزاً للترفيه عن نفسه على يد محظياته، وأخذت تفكر في ما حدث منذ رأت الجزيرة الصغيرة في آخر مرة.. يومذاك لم تكن مشتاقة إلا إلى رؤية أرض مولدها، وها هي اليوم مضطرة لقضاء وقت غير محدد في منزل رجل تجده في غاية الجاذبية. هبت واقفة وفاجأت السائق بسبب رغبتها في إنهاء هذه النزهة سريعاً لتستطيع العودة إلى المنزل.

قام السائق بدور الدليل، فساعدها على صعود التل الصخري الشديد الانحدار، نحو معبد «دامبولا» الذي كان مجرد كهف صخري، ما لبث أن توسع في الأيام الغابرة حتى أصبح كبيراً بحيث بات يتسع لعشرات تماثيل بوذا. بعد العتمة في الكهف، شعرت بألم في عينيها عندما خرجت إلى أشعة شمس الظهيرة الساطعة ولكن كان في الجوار أشجار عليها قردة مدربة، وتقوم بحركات لتنازل الطعام الذي يقدمه لها الزائرون.

نزلا التل ببطء، وتوقفت أليكسا لتنقد المتسولين العاجزين منهم بعض المال. كان هناك متسولون في كل مكان، بدا لها أن هناك المزيد منهم وهذا ما لا تذكره.. ولكن ربما كانت في طفولتها تتقبل وجودهم، ولا تنتبه لهم. لقد أخبرها السائق أن الحكومة تجمع

المتسولين دائماً وتأخذهم إلى أماكن خاصة بهم.

انطلقت بها السيارة من دامبولا إلى «انورادا بورا» المدينة الكبيرة التي بناها البوذيون في القرن الرابع قبل المسيح. وهناك توقفا في فندق لتناول الغداء.. وحتى وصلا كان الجو قد أصبح حاراً بشكل لا يصدق، كانت أليكسا على استعداد للبقاء في السيارة لولا إصرار السائق درهام على الخروج لمشاهدة جميع الأمكنة الهامة. هكذا ألقت نظرة على خرائب الأديرة وعلى الحمامات التي كانت تجري فيها الشعائر، وعلى المعابد ثم توقفا ليشاهدا أبراجاً محفورة مزخرفة، أتلفتها القرون وتقلبات الجو.

كان الطقس حاراً بل أكثر من حار وكان عليها المسير في المعابد البوذية، حافية القدمين وهذه هي العادة، ولكن السيلانيين معتادون على السير حفاة أما هي فوجدت الإسمنت المشتعل بفضل الشمس حاراً جداً بحيث لم تستطع تحمله. سارت على أطراف أصابعها حتى وصلت إلى مكان ظليل.

قال درهام: سنذهب الآن لرؤية شجرة التين المقدسة. ستعجبك كثيراً. إنه مكان مقدس يقصده جميع الحجيج.

بعد زيارة شجرة التين أخذها درهام إلى مطعم محلي، بناه الإنكليز، لاستقبال السواح عندما كانوا في هذه البلاد. فاسترخت أليكسا تحت الأعمدة البيضاء الأنيقة تراقب القردة التي تعيش على الأشجار القريبة، وهي تحتسي شراباً يُقدَّم ترحيباً بالزبائن.

لكن استرخاءها قادها إلى التفكير في برايس وكيف ينظر إلى هذا بعيني الكاتب وبعقله الواعي القادر على التقاط كل ما يثير الاهتمام. تمنت كثيراً لو كان معها، ليشاركها يومها الممتع.

إذن.. هل يعني هذا أنها مهتمة ببرايس؟.. استقرت أليكسا في مقعدها تفكر في الأمر، نعم هي بكل تأكيد تجد صحبته متعة، فهو ذو شخصية ساحرة يصعب مقاومتها. وهو إلى ذلك واثق من نفسه.. لم تلتق أليكسا رجال كثيرين يملكون هذه الإيجابيات من قبل. ولا تستغرب أن يكون تأثيره فيها قوياً.. إنما.. هل تهتم به؟ وهي لا تعرفه إلا منذ يومين؟ هذا غير ممكن! لا شك أن السبب شهرته والعمل معه

كانت واثقة من هذا الاستنتاج في رحلة العودة الطويلة إلى المنزل حيث كانت تجلس في مقعد السيارة الخلفي، تراقب المصابيح تضاء في المنازل والدكاكين الصغيرة. سرعان ما حل الظلام، فاضطر درهام إلى قيادة أبطأ وإلى استخدام الزمور.. وبدت الأميال طويلة جداً، خاصة وأن صبر أليكسا قد نفد بسبب رغبتها في رؤية برايس، لتخبره عن يومها. حاولت أن تتذكر أماكن شاهدتها قد تثير اهتمامه وتسليه، فقد يستفيد من وصفها كونه كاتباً فيستخدم المعلومات. أخيراً وصلا إلى التلة التي تنحدر نزولاً نحو المنزل، وشاهدت أنواره المرحبة تشع في الوادي.. انحنت إلى الأمام، وقلبها يخفق بسرعة، وتمكنت بطريقة ما أن تشكر درهام، قبل أن تترجل من السيارة وتهرع إلى الداخل حيث برايس.

لكن، لم يكن هناك غير هيما التي نظرت إلى وجهها المشتاق وعينيها الملهوفتين فقالت بقسوة:

- لقد خرج برايس. قرر ألا ينتظرك.. يجب أن تتناولي العشاء بمفردك مرة أخرى!

www.liilas.com
Ami

٤ ـ عذراء الغيوم

كان الوقت متأخراً. . الساعة توشك أن تصبح التاسعة والنصف. .

سألت هيما: «هل تناولت الطعام في الطريق؟»

هزت أليكسا رأسها: «لا».

ـ إذن سأطلب أن يحضروا لك شيئاً.

ـ أرجوك، لا تزعجي نفسك، أنا قادرة أن. .

ولكن الفتاة كانت قد خرجت إلى الردهة وراحت تصيح شيئاً بالسنهالية لمن كان في المطبخ. . بعد لحظات عادت لتقول:

ـ طلبت من الطاهي أن يطهو لك الحساء مع البيض المقلي. .

وبعد ذلك سيذهب هو والآخرون إلى بيوتهم.

قالت هذا، وكأن الخدم كلهم كانوا بانتظارها ساعات وساعات.

ردت أليكسا بجفاء:

ـ شكراً لك. سأكون جاهزة لتناول الطعام بعد نصف ساعة.

استحمت ثم غيرت ملابسها. شعرت بالانتعاش بعد الحرارة والعرق طوال اليوم. عندما عادت توقعت أن تكون هيما غير موجودة، ولكن الفتاة كانت في غرفة الجلوس فلحقت بها إلى غرفة الطعام بهدوء وجلست في المكان الذي يجلس برايس عادة فيه. .

سألت: «هل استمتعت بزيارة الأماكن القديمة في سيلان؟»

ركزت بشكل مهين على كلمة «مرة أخرى» فعرفت أليكسا عندئذ أنها رغم معرفتها القصيرة به أصبحت تهتم به كثيراً.

* * *

ولكن لم يكن في لهجتها أقلّ ود واهتمام. فردت أليكسا بعدما شكرت الخادم بابتسامة:

- كثيراً.. شكراً لك.

وضعت هيما مرفقها على المائدة ووضعت يدها تحت ذقنها:

- إلى أين ذهبت؟

أخبرتها أليكسا باختصار ولكنها كانت منزعجة من وجودها.

ردت الفتاة: «في سيلان أمكنة كثيرة تستحق المشاهدة.. يجب أن تريها جميعها.. سأعطيك لائحة بها».

أدهشها تشجيع الفتاة لها ولكنها سرعان ما أدركت السبب فهذا يناسب هيما لأنه يبعدها عن برايس. ابتسمت بأدب وسألت:

- أين تعلمت الإنكليزية بهذه الطلاقة؟ هل كنت في انكلترا؟

هزت هيما رأسها بفخر: «من غير الضروري الذهاب إلى بلاد لتعلم لغتها.. تعلمت الإنكليزية في المدرسة، فأنا تلميذة مجتهدة.. عندما تركت المدرسة حظيت بعمل كمرشدة سياحية في معمل للشاي، ثم التقيت أدامس كوستمر الذي أحضرني إلى هنا».

- وهل أدامس كوستمر هو مالك المنزل؟

نظرت إلى أليكسا بعينين نصف مغمضتين ملؤهما الانتصار:

- أجل.. وأنا الآن مع برايس.

- آه، صحيح.. لقد أخبرني أنك مع المنزل، كسائر الأثاث الموجودة فيه.

لم تكن تريد أن تكون حقودة إلى هذه الدرجة، لكن حقد الفتاة الأخرى الخبيث، أزعجها بحيث لم تستطع منع نفسها.. غير أن سرعان ما قفزت هيما منتصبة وكأنها فهدة.

صاحت: «يجب ألا تبقي هنا أيتها الفتاة الإنكليزية.. برايس لا يريدك.. فأنت تتطفلين على عمله. لذلك أعارك السيارة وطلب من

درهام أن يبعدك طوال اليوم. ولهذا خرج الليلة. لا يرغب في أن يكون هنا معك.. أنت تضجرينه أيتها الإنكليزية وهو يتمنى لو تذهبين إلى فندق».

أدركت أليكسا أن الفتاة أعلنت الحرب مفتوحة بينهما:

- هو يريد أم أنت؟

ردت هيما بغضب: «هو يريد! أخبرني بذلك عدة مرات».

- لا أصدقك.. أنا..

صمتت أليكسا عندما وصل الخادم حاملاً البيض المقلي. وجدت أليكسا أن من السخافة البدء بجدال في أثناء تناول الطعام.. ولكن إن دفعت طبقها بعيداً ستشعر هيما بالنصر، هكذا أجبرت نفسها على تناول الطعام بهدوء قدر ما تستطيع.

أردفت هيما: «هذا صحيح.. إنه لا يريدك هنا.. فليبق والدك لأنه مريض.. ولكن برايس يتمنى رحيلك».

- حقاً..؟ يجب أن أسأله إذن..

كان لدى أليكسا أمل في إثباط همة الفتاة الأخرى ولكنه خاب. فقد هزت هيما كتفيها وقالت:

- إنه مؤدب بحيث لن يقول لك هذا بنفسه ولكنه أخبرني بذلك عدة مرات، كما قال لي أشياء كثيرة.. فليس بيننا أسرار.

لم تكن أليكسا بحاجة لمن يفهمها هذا، فهي تدرك أن هيما عشيقته.. أنهت طعامها بهدوء ثم مسحت فمها:

- أعتقد أنك تريدين الذهاب إلى بيتك. تفضلي لن أؤخرك.

هزت هيما رأسها مبتسمة: «لن أذهب إلى منزلي الليلة. طلب مني برايس أن أنتظره. لذا اذهبي إلى فراشك أيتها الإنكليزية فهو لا يريد أن تنتظريه مرة أخرى».

كان برايس هو الوحيد الذي عرف أنها كانت مستيقظة ليلة أمس

عندما عاد . فكرت للمرة الأولى في ما إن كانت هيما تقول الحقيقة. ربما لا يريد منها البقاء . . مع أنه أكد لها العكس.

عرفت هيما أنها سجلت إصابة فأضافت:

ـ لماذا لا تعودين إلى بلادك أيتها الإنكليزية؟ ليس لك شيء في سيلان.

وقفت أليكسا منزعجة وردت بحدة:

ـ على العكس، لدي الحق في أن أكون هنا.

ـ أنت؟ ماذا تعنين؟

ـ أعني أنني ولدت هنا، فأنا سيلانية مثلك.

وهذا ما لم يكن صحيحاً بدقة ولكنه على الأقل أمهلها فرصة لتخرج من الغرفة تاركة هيما في غاية الاضطراب.

في الردهة، وجدت أليكسا أن يديها ترتجفان وأن عليها أن تتماسك قبل أن تقرع باب أبيها . . كان نائماً، فأمضت بعض الوقت عنده مع الممرضة تتحدثان بهدوء. علمت أليكسا منها أنها الليلة الأخيرة التي سيبقيان فيها هنا، فقد قال الطبيب هذا الصباح إن مريضه على ما يرام وإن بإمكانها المغادرة وذكرت لها أن ممرضاً سيأتي في وقت لاحق ليساعده على الاستحمام وليعطيه الدواء. أمضت أليكسا ساعة لطيفة معها، وقد تبين لها أن المرأة ذكية وودودة، وهي تتقن الإنكليزية لأن جميع الأطفال في المدارس يتعلمونها في المدارس كلغة ثانية، إذن تكلم الإنكليزية بطلاقة ليس أمراً عظيماً كما حاولت إيهامها هيما.

كان منتصف الليل عندما أطفأت أليكسا نور غرفتها ثم استلقت مستيقظة في الظلام مصغية. كانت الواحدة عندما عاد برايس فأرهفت سمعها لتحاول سماع حديثه مع هيما ولكنهما على ما يبدو تحدثا بهدوء شديد، فكل ما سمعته كان صرير باب غرفته عندما انغلق. ربما

هيما في غرفته، مستلقية في فراشه، تنتظر عودته إليها . . أحست أليكسا بأن غيرة عنيفة تتملكها، فلو تمكنت من الإمساك بهيما لخنقتها مسرورة. لماذا أخبر هيما عن ليلة أمس؟ هل أخبرها أيضاً أنه عانقها؟ وهل ضحكا بسبب ما حصل؟

عجَّ تفكيرها بصور لهما . . لذا عندما غلبها التعب كانت أحلامها عنهما أيضاً وهما في غرفته.

في الصباح التالي، اضطرت إلى استخدام الماكياج لتخفي بقع التعب السوداء التي بانت تحت عينيها . . لم تكن تتطلع قدماً لرؤية أي منهما، خاصة وهي تعرف أنهما أمضيا الليل معاً، وتتصور الطريقة التي ستنظر إليها هيما بانتصار، لتركز على أنها ليست عشيقة برايس فحسب بل سيدة هذا المنزل . . أخيراً خرجت إلى الشرفة.

ولكن ويا للدهشة لم تجد غير برايس، يقرأ رسالة من بين رسائل صغيرة مكدسة أمامه . . نهض عندما رآها. كانت عيناه تطوفان بسرعة عليها.

قال: «صباح الخير، كيف كانت نزهتك بالأمس؟»

ابتسمت بإشراق مفتعل:

ـ مثيرة جداً . . شكراً لك. كان درهام مرشداً ممتازاً. ذهبنا إلى «دامبولا» ثم إلى «انورادابورا».

ـ ما رأيك بهما؟

ـ إنهما مثيرتان للاهتمام . . رجاء لا أريد أن ألهيك عن قراءة بريدك.

وراحت تشغل نفسها بوضع الزبدة على قطعة توست . . ابتسم برايس بكسل:

ـ هل أنت ممن يفضل بدء صباحه بهدوء دافناً نفسه في صحيفة لتجنب الحديث مع القهوة والتوست؟

هزت كتفيها وقالت: «لا أدري في الواقع، فأنا لا أتناول الفطور إلا في العطل. ولا أزعج نفسي بتحضيره في المنزل».

- وأين منزلك؟

- أتقاسم وأنا ثلاث فتيات شقة في شارع بايكي.

- وتعملين في مكتب؟

- أجل.

- وماذا تفعلين في العطلات؟

هزت كتفيها مجدداً: «نذهب إلى النوادي والسينما كثيراً.. كما أنني أتلقى دروساً ليلية في مسك الدفاتر الحسابية».

- أمر رائع.. أليس في سمائك صديق؟

كادت أليكسا تشرق بقهوتها لكنها تمكنت من إخفاء الأمر بأن سعلت، ولم تلتق بعينيه:

- شخص أو شخصان. أعتقدك راغباً في البدء بالعمل الآن، فما زال لدي الكثير مما أطبعه لألحق بعملك.

وقفت بدون أن تنتظر منه رداً وتوجهت إلى مكتبه، حيث بدأت تزيل الغطاء عن آلة الطباعة.. فالحديث بينهما تحول بسرعة إلى أمور شخصية.. تبعها برايس على مهل ووقف يراقبها لحظات ثم علق:

- أنت في غاية الكفاءة هذا الصباح.

- صحيح؟ حسناً، لدي عمل كثير.

- هل من خطب؟

سمحت لنفسها بإلقاء نظرة سريعة عليه.

- لا بالتأكيد لا.. ولماذا يجب أن يكون هناك خطب ما؟ أي فصل اشتغلت به الأمس؟

- الفصل السادس.

- إذن أنت تسبقني بأربعة فصول.

وضع يده على كتفها، فاضطرت إلى كبح شهقة بعدما أحست بلمسته تحرقها:

- تعرفين أننا لسنا في سباق.

لعقت شفتين جفتا فجأة، وتمكنت من أن ترد بحبور.

- أوه.. ولكنني أتوق إلى قراءة ما تبقى من الكتاب.

ظلت يده حيث هي أطول مما يجب، ثم ابتعد ليجلس وراء مكتبه.. بعد ما قالته من سخافات لم يعد هناك ما يقال.. بدأت الطباعة متوترة، ثم استغلت فرصة عدم انتباهه وانتزعت الورقة من الآلة الكاتبة، فقد ارتكبت أخطاء عديدة.

عملا معاً طوال الصباح، وعندما توقف برايس ليشرب القهوة، لم تشاركه إياها، بل اعتذرت وذهبت لتتفقد والدها.. لدى عودتها كان على فمه سخرية قاسية، لكنه سألها عن المريض. شكرته وأخبرته أنه أفضل حالاً وأنه سينهض من السرير ليتمشى قليلاً بعد الظهر، فأبدى سروره لسماع خبر تحسنه.

تساءلت أليكسا بينها وبين نفسها إن كان سبب سروره معرفته بأنهما يوشكان أن يغادرا فيتمكن بذلك من البقاء بمفرده مع هيما؟ لم يكن هناك أثر للفتاة هذا الصباح ولكن أليكسا توقعت ظهورها وقت الغداء.. وعندما وجدت المائدة معدة لشخصين أصيبت بالدهشة ففكرت أنها ربما تستعيد عافيتها بعد سهر ليلة أمس.. شحنت الغيرة والحقد صدرها.. ونظرت إلى برايس متسائلة كيف هو كعاشق يا ترى؟

وكأنها تلفظت بالسؤال عالياً، إذ نظر إليها بصمت، فتلاقت عيونهما في وقت واحد.. أحست أليكسا بوجهها يحترق من فرط الحرارة فلو كان يشك ولو قليلاً بما تفكر فيه، لزالت كل ريبة من تفكيره الآن. اللعنة عليك! توقف عن الضحك مني! طأطأت عينيها

لأنها لا تجرؤ على النظر إليه مجدداً خشية أن يتورد وجهها.

تمكنت بطريقة ما من استجماع نفسها، وأمضت بعد الظهر وفترة العشاء في العمل، لكنها تنفست الصعداء عندما دخل برايس ليجلس مع والدها، فتمكنت بذلك من الذهاب إلى غرفتها حاملة كتاباً لئلا تراه مرة أخرى تلك الليلة.. كان قد عرض عليها السيارة مجدداً للقيام برحلة في اليوم التالي ولكن السائق قال إنها بحاجة إلى تصليح وإنه أخذها إلى الكاراج الذي وعده بأن تصلح بعد يومين.. علق برايس على أنه يعرف الكاراجات هنا، وأن هذا قد يعني أسبوعاً أو أسبوعين.

كان اليومان التاليان أفضل حالاً.. سيطرت أليكسا فيهما على نفسها.. تمكنت من إعادة الأمور إلى نصابها ولكنها جاهدت لتظلّ علاقتهما على مستوى غير شخصي. في المساء دخل إلى غرفة والدها ومعه ورق لعب.. أحست أليكسا بالذهول بسبب تغير شخصية والدها عندما يكون مع برايس.. كان يتحدث إليه أكثر مما يتحدث معها، وكان برايس يدفعه إلى التحدث عن السنوات التي أمضاها في إدارة مزرعة الشاي وكثيراً ما ضحك على ما مر به من تجارب.. ربما كان يفضل صحبة الرجال. اعتذرت باكراً بحجة التعب على أمل أن يشعر والدها بالراحة بدون وجودها.

في اليوم الثالث، تناولا الفطور وكانت أليكسا قد بدأت العمل عندما دخل برايس إلى الغرفة فجأة، وتقدم منها يشدها لتقف.

- لا عمل اليوم فعلى عكس توقعاتي المتشائمة، أصلحت السيارة على الموعد، ستستريحين اليوم.

- آه.. ولكنني كنت وسط...

- لا.. لقد سمعتني.. سنقوم بنزهة..

- نحن؟

- أجل نحن. إنه يوم عطلة درهام، لذا أخشى أن تضطري إلى

تحمل وجودي كمرشد سياحي لك.. هل من اعتراض؟

خفق قلبها بسرعة، وجفت حنجرتها.. فتلعثمت وهي ترد:

- لا.. بالتأكيد لا.

ابتسم لها: «جيد.. لديك عشرون دقيقة لتستعدي».

ثم تركها. سمعته يلقي الأوامر على شخص ما في المطبخ.. ظلت لدقائق مسمرة في مكانها، يغمرها الذهول والإثارة والترقب، بحيث لم تستطع إلا التحديق وراءه.. لقد تبخرت في الهواء كل قراراتها جميعاً بالبقاء جلفاء معه وتحللت إلى لا شيء أمام كلمة: «سنقوم بنزهة».

أطل برأسه ثانية إلى الغرفة فوجدها واقفة في مكانها. قال ساخراً: أمامك فقط ربع ساعة.

فجأة عادت إلى الحياة فضحكت مسرورة، وغطت الآلة ثم هرعت إلى غرفتها تغير ثيابها لترتدي فستاناً أزرق شاحباً يليق بلون عينيها وانتعلت حذاء مريحاً منخفض الكعبين.. أمسكت حقيبتها وما يلزمها من أغراض في ذلك النهار، وهرعت إلى الخارج أمام المنزل، والإثارة تبدو في عينيها.

رفع برايس رأسه وهو يضع سلة طعام كبيرة في الصندوق. التقط التعبير على وجهها فقال:

- تبدين أشبه بطفلة وعدت بمعاملة مميزة.

ابتسمت له ابتسامة كاملة للمرة الأولى منذ ثلاثة أيام، وردت بسعادة.

- هذا ما أشعر به! إلى أين سنذهب؟

- ادخلي إلى السيارة وسأريك الخريطة.

كان معه خريطة كبيرة للجزيرة، أعطاها إياها ثم ساعدها على فتحها على ركبتيها ومال إلى الأمام ليشير إلى الطريق التي ينوي

سلكها.

- سنذهب اليوم إلى «سيجيريا». أمامنا متسع من الوقت لذا لا داعي للعجلة.. لذا إن شاهدت مكاناً على الطريق تريدين التوقف فيه، فصيحي فقط صيحة رضى.

- حسناً، هذا ما سيكون.

كان اليوم حاراً ومشمساً ولكن برايس تمهل في المسير ولم يسرع كما كان يفعل درهام فلم تضطر إلى التمسك للحفاظ على ثباتها. توقفا عند مفترق طرق، بانتظار مرور القطار.. ثم وجدا سوقاً كبيرة مفتوحة تعج بالناس وبالباعة الذين يحملون بضائعهم على ظهورهم ويعرضونها في السلال أو يفرشونها على الأرض. كان هناك ثمار الأناناس والمانجا اللذيذ، والفلفل الأحمر المجفف. لكن قبل أي شيء، كان هناك صراخ الناس وهم يعلنون عن بضائعهم أو يتجادلون مع المشترين بشأن الأسعار.

توقفا قليلاً لالتقاط صور لمعبد هندوسي مغطى بمنحوتات بدا أن لكل واحد منها عدداً لا يصدق من الأذرع والرؤوس.. ثم توقفا مرة أخرى في مصنع للأقمشة الوطنية وهناك شاهدا عملية التشميع والتجفيف، فجربت أليكسا عدة أثواب واشترت من الأقمشة أجملها. ظنت أن صبر برايس قد نفد ولكنه كان على العكس، إذ انتقى لها عدة أثواب لتجربها، واشترتها.

في السيارة، قادها برايس شمالاً مرة أخرى، عبر سهل منفتح، فيه قرى منتشرة على جانبي الطريق الرئيسية.. من ورائها بضعة حقول محروثة.

قال برايس:

- أترين تلك الصخرة الضخمة المستديرة ذات القمة المسطحة؟ تلك هي «سيجيريا» المنطقة التي نقصدها.. إنها تسمى بصخرة

الأسد.

كانت الصخرة ضخمة، تشبه الجبل الصغير، ترتفع حمراء ذهبية بعيدة عما يحيط بها من أشجار وتقف شامخة تحت السماء الزرقاء الخالية من الغيوم. عندما اقتربا منها، توقفا لشراء التذاكر قبل متابعة المسير. ولكن برايس رفض خدمة الدليل، وتقدم ليوقف السيارة تحت ظل بعض الأشجار.

- سنستكشف خرائب القصر الصيفي أولاً، ثم نتناول الغداء ونستريح قبل تسلق الصخرة.. موافقة؟

- أجل.. عظيم.

ترجلت من السيارة تلحق به، فراحا يتجولان ببطء حول الخرائب تحت الشمس الحارقة. كان برايس يشير إلى الأجزاء المختلفة حيث كان القصر.. كان اليوم شديد الهدوء فيه الهواء مقطوع.. أحست أليكسا بأنها كادت ترى أشخاصاً من الزمان الغابر ممن سكنوا هذه الخرائب.

- فيم تفكرين؟

أعادها سؤال برايس من عالم التأمل.

- ليس في شيء محدد.

ارتفع حاجبيه بعدم تصديق: «لا شيء؟».

ضحكت محرجة:

- حسناً لو أغمضت عينيك لرأيت ما كان عليه المكان في الأزمنة الغابرة ولتصورت الأشخاص الذين عاشوا هنا والطريقة التي عاشوا فيها.

توقعت أن يضحك منها، أو أن يهزأ بها، ولكن ويا للدهشة هز رأسه وقال بهدوء:

- هذا صحيح.. هناك هالة غريبة حول هذا المكان. بإمكانك رؤية

الملك جالساً على عرشه وحوله محاربوه، وعشرات النساء الجميلات يرقصن له ويهتممن بحاجاته.

ابتسمت أليكسا: «لم أتصور النساء الجميلات».

ضحك ثم دس ذراعه حول خصرها.

- ولكن، لديك على الأقل مخيلة.. آخر من رافقتهم إلى هذا المكان قالوا فقط «آه صحيح!» لكل ما كنت أقوله لهم، ولم يستطيعوا الانتظار حتى الوصول إلى أقرب فندق لاحتساء المرطبات.

- ومن كانوا؟

- آه. هم أشخاص جاءوا من انكلترا في زيارة قصيرة.

صمت بضع دقائق ثم راح ينظر بعيداً قبل أن يقول وكأنما يحدّث نفسه: «أعتقد أنها فعلاً مجموعة من الصخور القديمة، إلا إذا ألبستها لباس التاريخ.. كما فعلت أنت».

نظرت إليه وهي تحس بأن هناك شيئاً أعمق وراء كلماته. انتظرت بشوق حتى يتم كلامه ولكن حاجبيه ارتفعا لدى وصول عربة سواح. فضاع انتظارها.. ابتسم لها وأمسك بيدها قائلاً:

- ولكنني أراهن أنك تفضلين الآن كوب عصير بارد.

- أقلت بارداً؟

هز رأسه بجرها إلى السيارة وهي تعترض ضاحكة:

- أنت لا تعني هذا، صحيح؟ ليس معك شراب بارد؟

بل كان معه. فتح سلة النزهات وأخرج زجاجتين من العصير البارد محفوظتين في وعاء حافظ للحرارة، فقالت أليكسا بلهجة ملؤها الرهبة:

- أنت.. الرجل الذي أحب أن أنفرد به وسط جزيرة مهجورة وسأكون معجبة بك في كل مرة!

قدم لها كأساً راحت تحتسيها ببطء، مستمتعة بكل قطرة فيها.

- آه! ما ألذه! إنه أفضل عصير ذقته في حياتي.. إنه كالرحيق!

راح يتأمل وجهها العامر بالنشوة.. وفتحت عينيها ببطء.. نعم هو لم يلمسها ولكنها شعرت كأنه فعل. كان كل عصب فيها يشتعل، وقلبها يتسابق بجنون.. أعاد ملء كأسها ثم ملأ كأسه، ورفعه:

- نخب آلهة الوثنيين القديمة.

أضافت، محاولة إبقاء لهجتها خافتة:

- خاصة باخوس.

- بكل تأكيد.. والآن، ماذا أعطونا لنأكل؟

جلسا تحت ظل شجرة في ذلك المكان القديم، فأكلا وشربا، وراحا يتكلمان ويضحكان. وجدت نفسها بطريقة ما تخبره كل شيء عن حياتها في سيلان ثم في انكلترا، مع أمها وخالتها، ولكنها لم تع أنها تفصح له أكثر بكثير مما تقوله الكلمات.. ثم سألته عن نفسه، لكنه راوغ من جديد، وقال لها وهو مستلق على ظهره فوق العشب:

- قد أكتب في يوم ما قصة حياتي، وستقرأينها كلها.

داعبته أليكسا قائلة: «أتخشى أن أفضح حياتك أمام الصحافة؟»

ثم تمددت على معدتها، ورفعت رأسها تستند إلى مرفقيها.. ضم شفتيه في ابتسامة خبيثة:

- احذري يا امرأة، وإلا شملتك قصة حياتي!

ثار فضولها: «حقاً..؟ وماذا ستقول عني؟»

كان قد أغمض عينيه، لكنه عاد وفتحهما قليلاً لينظر إليها بكسل:

- هذا وقف...

- على ماذا؟

- على ما إذا كنت ستعانقينني.

كانت أليكسا تداعب سلسلة ذهبية في عنقها، ولكن أصابعها توقفت فنظرت إليه وهي غير واثقة مما إذا كان جاداً أم مازحاً. ولكنه

ابتسم، وأغمض عينيه مرة أخرى.. وهذا لم يساعدها إطلاقاً. نظرت إلى وجهه عدة دقائق.. فلاحظت كيف خففت خصلة الشعر السوداء التي تدلت على جبينه من قسوة قسماته.. ووجدت شقاً صغيرة في منتصف ذقنه جعلها ترغب في تمرير إصبعها فوقه. اقتربت ببطء منه قليلاً.. كان تنفسه هادئاً ومنتظماً فظنته يغفو. مالت فوقه لأنها واثقة أنه نائم. كانت عيناها تدرسان وجهه ثم أخفضت رأسها، ولامست خده برقة.. ومع ذلك، فقد شعر بها.. لأنها عندما أرادت رفع رأسها، وضع يده خلف عنقها لئلا تستطيع الابتعاد وفتح عينيه ينظر إلى عينيها، وقال لها بعذوبة:

ـ بإمكانك القيام بأفضل من هذا.

التفت ذراعاه حولها يضمها بشغف فارتفعت ذراعاها طوعاً إلى عنقه استجابة له وقد غمرها شوقه المفاجيء.. كانت ضائعة عما حولها. ولكن برايس أبعدها عنه فجأة وجلس.. فسمعت أصواتاً قريبة منهما. كانت متوجهة صوبهما جماعة من الحجيج السيلانيين الذين ساروا في الخرائب يتقدمهم بوذيان يرتديان اللون البرتقالي.. نظرت أليكسا إليهما، ثم التفتت إلى برايس، وصدرها يعلو ويهبط.

ثبّت عيناه على وجهها لحظات، ثم وقف بسرعة، وجذبها لتقف إلى جانبه:

ـ فلنذهب الآن إلى الحصن، لا شك أنه أبرد قليلاً.

رفعت أليكسا يدها تبعد شعرها عن وجهها بيد غير ثابتة.. ساعدته في إعادة أغراض النزهة إلى السلة، ثم في وضعها في السيارة.. تتصرف بشكل آلي، وعقلها ما يزال يحوم فوق الغيوم.

قاد برايس السيارة إلى موقف مخصص عند أقدام صخرة الأسد. ثم سارا صعوداً في ممر عبر منصات بيع التذكارات التي تعرض تماثيل بوذا العاجية، والأقنعة الخشبية الملونة والآنية النحاسية المزخرفة..

توقفا عند صخرة ضخمة وهناك أخبرها برايس أن البوذيين استولوا على المكان بعد الملك الذي بنى هذا الحصن، وبعدما هزموه في معركة.. لكنها لم تكن تصغي حقاً.. بل كانت تعي فقط ما تشعر به من أحاسيس وما تشعر به من حرارة الشمس ولعل أكثر ما كانت تشعر به قربه منها.

صمت صوت برايس، فأدارت رأسها تنظر إليه، فتلاقت عيونهما وتشابكت. لم تستطع قراءة ما على وجهه ولكن وجهها كان واضحاً كل الوضوح، لأنه ابتسم لها ثم رفع إصبعه ليلامس شفتيها وتمتم:

ـ فيما بعد.

تحركا صعوداً بين الأشجار، ثم سلكا درجاً طويلاً. بعد ذلك انحدر الطريق وضاق، لا يبعدهما عن منحدر عميق يقع إلى جانب الصخرة غير سياج بسيط لكي يصلا إلى رسومات الكهف الملونة، كان عليهما الصعود في درج ملتوٍ، معلق في الصخرة الجرداء نفسها.. ولكن اللوحات الجدارية خيبت أملها إذ لم يبق منها غير بضع لوحات مع أنه كان هناك المئات منها يوماً. كانت كلها لفتيات سيلانيات مرسومات بلون برتقالي خفيف ممزوج بلون أحمر وأخضر، عليهن غطاء للرأس من الجوهر، وقلادات، وعدد لا يحصى من الأساور..

قال برايس: «يسمونهن «عذارى الغيوم» لأننا مرتفعون على ما أعتقد».

ـ لا أرى رسماً لرجل.

ـ بالتأكيد لا.. فالملوك القدامى يعرفون ما هي الأولويات عندهم.

ـ أتعني أنهم يعودون لعصر الاستبداد؟

جلجلت ضحكة برايس في الكهف الضيق.. ووضع يداً على ذراعها:

ـ أتعرفين أنك تجعلينني أشعر بما كنت أفتقده أثناء وجودي هنا.

لم تطلب منه أن يشرح لها إذ تكفيها رؤيته مبتسماً، والشعور بيده على ذراعها.. أحست بأنها مرتفعة فوق الغيوم كـ «عذارى الغيوم» وبأن قلبها يحلق بذهول.. عادا يهبطان السلم اللولبي يساعدها برايس، لأنها لم تكن تحب الارتفاعات كثيراً.. كانت تحس بوجوده بشكل رهيب كلما لمسها وكأنما هناك تيار كهربائي بينهما.

سارا إلى الجهة الأخرى من الصخرة، إلى مكان كان مرة رأس أسد كبير، يجثو على قوائمه. الآن لم يبق سوى المخالب على طرفي بضع درجات كانت تدخل فيما مضى عبر قنطرة في فم الأسد.. فوق الدرجات كان هناك سلم حديدي، له درابزين مثبتة إلى الصخرة.

ـ أتودين تجربتها؟

ترددت أليكسا، وهي تنظر إلى الارتفاع الشاهق. وسألته:

ـ وهل صعدت أنت إليها يوماً؟

ـ أجل.. لا تجربيها إن كنت لا تريدين.

ابتلعت ريقها: «بل سأجرّب».

لم يكن صعود الجزء الأول صعباً.. ولكن فيما بعد كثرت الأماكن الضيقة وكثر الصخر الغرانيتي.. وضع برايس يداً ثابتة على ذراعها لتصبح في الأعلى بدون أن تدري.. عند قمة الصخرة وجدا آثاراً فتجولا حولها مدة ساعة تقريباً، ثم عادا يهبطان ولكنها وجدت الهبوط أسوأ بمئة مرة من الصعود، لأنها ترى الهوة أمامها في الأسفل.. كاد الذعر يتملكها، لكن برايس وضع ذراعه حولها يحدثها، ونزلا بأمان إلى مخالب الأسد.

أجلسها برايس هناك، وذهب إلى منصة بيع مرطبات واشترى منها زجاجة كولا.

ـ هاك، مع أنني أخشى ألا تكون باردة جداً.

شربتها أليكسا دفعة واحدة، ورفعت يدها تمسح العرق عن

جبينها.

نفرس بها برايس قائلاً:

ـ كنت خائفة كثيراً أثناء صعودنا أليس كذلك؟

هزت رأسها إيجاباً، فأكمل:

ـ لماذا فعلت هذا إذن؟

ـ لأنني أردت الوصول إلى القمة.. لم أرغب في أن تهزمني.

ـ تسعين دائماً إلى ما تريدين بمثل هذا التصميم؟ حتى ولو كنت خائفة؟

وضعت أليكسا زجاجة الكولا الفارغة وقالت:

ـ أعتقد أن هذا وقف على مدى رغبتي في شيء. ألا تخاطر إن أردت شيئاً بلهفة كبيرة؟

ـ أجل.. وأحصل على ما أريد دائماً.

ـ دائماً؟

رد بثبات: «أجل.. دائماً».

حركت أنفها مازحة:

ـ إذن، أنت مدلل.

ضحك: «كثيراً».

مد يده ليوقفها ولياشرا نزول التلة.

في طريق العودة، لم يسرعا.. ولم يستعجلا في تناول العشاء. كان كل منهما يشعر بالتوتر. تحدثا أثناء الوجبة كشخصين متعارفين منذ وقت طويل.. كانت أليكسا قد دفعت بظل هيما إلى الخلف، فهي لم ترَ الفتاة منذ ثلاثة أيام، ولن تسأل عنها بالتأكيد.. كانت أيديهما تتلامس بالصدفة أحياناً فتشعر أليكسا بأنها تكاد تشهق عالياً.

عندما أنهيا الطعام، وقف برايس:

ـ فلنتمشَ في الحديقة!

أخذ يدها، وسارا معاً من الشرفة إلى الحديقة الدافئة العطرة.

تابعا السير حتى ابتعدا عن الضوء الذي تلقيه مصابيح المنزل، ولم يعد هناك غير شعاع القمر يرشدهما.. توقف برايس قرب شجرة «فتنة» أزهارها البيضاء تلمع تحت أشعة القمر الخفيفة، واستند إلى جذعها، يجذب أليكسا بلطف إليه..

قال هامساً، وذراعاه تلتفان حولها:

ـ أليكسا.. ما أجملك! شقراء، شقراء جداً.

رفع رأسها يراقب أشعة القمر تتلاعب بشعرها الذهبي. ضحك ضحكة خافتة، ثم وضع كلتا يديه على خصرها يجذبها إليه بقوة فاستسلمت بسعادة لعناقه المشبوب. حاول إبعادها قليلاً عنه لينظر إليها مجدداً، لكنها تعلقت به. أمسك يديها بحزم حتى اضطرت كارهة إلى الابتعاد، عندئذ راحت عيناه تتأملان قدها الرشيق، أخيراً همس:

ـ أنت جميلة.. كاملة. كعذارى الغيوم..

شهقت ابتهاجاً، وتمكنت من القول:

ـ لكنني حقيقية، حية!

لا تهتم أبداً لعذارى الغيوم، فكل ما تريد أن يعانقها برايس إلى الأبد.

قالت: «أوه.. حبيبي.. حبي.. حبي!»

ضمها بثبات وقوة وشغف وعندما حاولت أن تتحرك لم يسمح لها بل جعلها تبقى جامدة، ساكنة، دقائق طويلة، حتى استعاد قلبه خفقاته الطبيعية.

أخيراً، رفعت رأسها، تنظر إليه متسائلة: برايس؟

لم يجبها، بل لثم جبينها بخفة دون أن تترك ذراعه خصرها. اقتادها مجدداً من الحديقة إلى المنزل، فأطاعته بلا اعتراض. كانت عيناها براقتين في وجه متورد مضاء من الداخل.

تعثرت قليلاً وهما يرتقيان درجات الشرفة فاشتدت ذراعه حول خصرها.

ضحكت: «يبدو أن ساقيَّ أصبحتا عجينة رخوة!»

توقف ينظر إليها وبين حاجبيه القاتمين تقطيبة صغيرة:

ـ أليكسا.. أنا..

في صوته اضطراب، عقدت أليكسا ذراعيها حول عنقه فلم يستطع أن يكمل.

قالت أليكسا:

ـ آه برايس.. حبيبي، يا أعز الناس، برايس! كان يوماً رائعاً، لن أنساه أبداً..

مد يديه ليبعد يديها عن عنقه:

ـ لا شك أنك متعبة.. لذا من الأفضل أن تذهبي إلى النوم.

ـ أجل..

تقدمته بضع خطوات، ثم التفتت إليه:

ـ ألن.. ألن تدخل أيضاً؟

وكان هذا أقرب ما تمكنت أن تصل إليه من دعوة.. أقرب ما يكون من القول بصراحة: أريدك أن تكون معي.

بدا وكأنه يتمتم شيئاً بين أنفاسه، شيئاً لم تستطع فهمه، ولم يكن لديها الجرأة لتسأل مرة أخرى. كان متعباً، لا يتحرك، بل ينتظرها أن تذهب. ارتدت على عقبيها مسرعة وهرعت إلى غرفتها. استعدت للنوم بلهفة. أطفأت الأضواء بيد مرتعشة ولم تترك غير مصباح صغير.

لكنه لم يأت.. انتظرت حتى هدأ المنزل قبل أن تطفىء المصباح. لكن خيبة أملها كانت شديدة، لم تكن تحس بالتعاسة. لقد حدث كل شيء بسرعة.. مثل أرجوحة دوارة، دارت ودارت حتى خرجت عن

محورها.. هكذا أفضل.. فلديهما وقت طويل، وقت العالم كله. هناك الغد وبعد الغد.. ابتسمت أليكسا وهي تنجرف إلى نوم عميق.

***

www.liilas.com Am!

٥ ـ هل يهتم بها؟

استيقظ برايس كالعادة قبلها مع أنها استيقظت وخرجت من الفراش فوراً.. كان جالساً على مائدة الفطور يقرأ جريدة محلية. رفع بصره ما إن سمع وقع قدميها السريع.. ابتسمت له ابتسامة رائعة، وعيناها الزرقاوان تضيئهما السعادة.

ـ صباح الخير.

وضع الجريدة من يده وصب لها فنجان قهوة:

ـ صباح الخير.. تبدين رائعة هذا الصباح.

ـ أحس أنني بخير، رائعة.. وأنت تعرف هذا.

ابتسمت مرة أخرى وفي عينيها دفء وشوق.

غضّنت تقطيبة خفيفة جبينه ولكن الخادم حمل إليها الفطور. عندما عادت لتنظر إلى وجه برايس كانت التقطيبة قد اختفت..

ـ لو سمحت لي.. لدي بضع مكالمات هاتفية أجريها.

غاب فترة طويلة، أنهت خلالها الطعام، ألقت نظرة على الجريدة.. وعندما عاد نهضت بسرعة:

ـ أنا جاهزة للعمل.

ـ ألا ترين أن من واجبك رؤية والدك أولاً؟

ـ آه! أجل بالتأكيد.

ضحكت له تلامس يده، ثم أضافت:

ـ سأعود حالاً . . لا تبدأ العمل بدوني .

كان والدها جالساً على كرسي قرب النافذة، يتسلى بلعب الورق منفرداً . . بدا للمرة الأولى مسروراً برؤيتها فقد سألها عن رحلتهما إلى سيجيريا، وأخبرها بأنه زار ذلك المكان منذ حوالي ثلاثين سنة . أصغت أليكسا إليه بصبر لأنها كانت تتوق للعودة إلى برايس . . أخيراً قاطعت والدها، وشرحت له أن مضيفهما بانتظارها لتطبع له بعض الأوراق ثم خرجت من الغرفة غير آسفة، فطالما صرفها والدها عنه لذا لن تشعر بالندم .

كان برايس وراء مكتبه . تسللت إلى الغرفة إذ كان ظهره لها ثم اقتربت منه ووضعت يديها على عينيه، وهمست :

ـ احزر من؟

التفت يرفع ذراعه ويبعد يديها، فعقدت ذراعها حول عنقه، أما يدها الأخرى فتلمست خطوط وجهه . . لكنه لم يستجب لها بل حاول إبعادها كذلك . . وعندما نظرت إليه بريبة ابتسم لها وقال :

ـ بمقدار ما هو مبهج هذا يا سيدتي الصغيرة، فلن يساعدنا على إنهاء الكتاب .

وقفت ببطء «أنت . . تعني . . أن هناك وقتاً ومكاناً محددين لكل شيء؟»

ـ شيء من هذا القبيل .

ارتدَّ مجدداً إلى عمله، فعادت إلى منضدتها لتنظر إلى رأسه المحني . . أحست وكأنها مراهقة حاولت القيام بشيء قلدت فيه الكبار، ليقال لها إنها ما زالت طفلة . . ألا يحس بما تشعر به؟ يجب أن تعرف . . يجب أن تسأله، فبدأت :

ـ برايس . .

ولكنه قاطعها بصوت حاد تقريباً :

ـ لقد وضعت لك الفصل التالي قرب الآلة الكاتبة .

بعد وقفة قصيرة، التقطت ورقة لتضعها في الآلة، وبدأت بالطباعة .

قبل وقت الفطور بقليل، سمعت صوت سيارة في الخارج، وخرج برايس ليرى من القادم . . ثم عاد ومعه رجل آخر أصغر منه سناً، ربما في أواخر العشرين، طويل بني الشعر لوحت بشرته الشمس .

ـ أليكسا هذا كيڤن تشيرمان . . إنه يعمل في السد الذي يبنونه في الجبال . . أخبرتك عنه .

ـ أجل بالتأكيد . . كيف حالك سيد تشيرمان؟

ضحك الرجل الشاب : «ما هذه الرسمية؟ نحن ننادي بعضنا بعضاً بأسمائنا الأولى هنا» .

قال برايس : «فلندخل ولنشرب بعض المرطبات قبل الغداء» .

حمل إليهما الخادم الشراب . .

قال لها كيڤن :

ـ لقد أخبرنا برايس عن الحادثة التي تعرضت لها . . كيف حال والدك الآن؟

قالت أليكسا : «يستعيد عافيته . . شكراً لك» .

وتمنت لو لم يكن هناك ولو لم يكن برايس مسروراً هكذا برؤيته . .

أضاف : «لا شك أن هذا أخافك دثيراً . . هل قال الطبيب متى يمكنه أن يتحرك؟»

ـ لا . . ليس بعد . . لقد أصيب بنوبة قلبية، وهذا ما أوقع الحادث .

بدأ كيڤن يسألها عن حياتها في انكلترا، وبدا واضحاً أنه سيبقى للغداء . . فهمت من خلال حديثه مع برايس أنه أحد الأصدقاء من نادي

الخبراء، وأن برايس عندما يذهب إلى هناك يمضي الوقت بلعب البوكر أو أية لعبة ورق أخرى. . ولكنه لم يتحدث إلى برايس كثيراً بل كان معظم اهتمامه ينصب على أليكسا يخبرها عن السد الذي يعمل على بنائه، ذاكراً بعض الأحداث المضحكة حقاً، عن الفروقات، وسوء التفاهم التي غالباً ما تثور مع العمال المحليين.

ما إن أنهوا الغداء وبدؤوا باحتساء القهوة حتى قال كيڤن لبرايس:

ـ أين هي هيما؟ لم أرها اليوم.

ـ شقيقتها مريضة. . ذهبت ترعاها لبضعة أيام.

ـ ألا تقيم شقيقتها في منزل أمها إذن؟

ـ لا. . فهي متزوجة وتعيش في «ناورا أيلي».

إذن، يعرف كيڤن كل شيء عن هيما، وربما يعرف أيضاً أنها عشيقة برايس. . أحست أليكسا بالتعاسة. . فهي منذ ليلة أمس لم تفكر كثيراً في هيما، أما الآن فبدأت تتساءل عما إذا كان برايس نكداً بسببها. . أتراه يتسلى بها لأن هيما غير موجودة؟ وهل قرر الآن أنه يفضل الأخرى؟

ـ ما الأماكن التي زرتها في سيلان يا أليكسا؟

قطع صوت كيڤن عليها أفكارها، واضطرت إلى التركيز لترد وتابع السؤال:

ـ ألم تذهبي إلى كولومبو؟

اعترفت أنها لم تذهب، فسارع يقول:

ـ هاي. . لِمَ لا نذهب إلى هناك بعد الظهر؟ بإمكاننا زيارة معالم المدينة ثم الذهاب إلى فندق أنتركونتنتال للسباحة وتناول العشاء هناك.

نظر إليهما بلهفة: «ما رأيكما؟ لو انطلقنا الآن لوصلنا إلى «كولومبو» في ساعتين. . أترغبين في الذهاب، أليكسا؟»

لكن أليكسا لم تكن ترغب، فقالت:

ـ كنت أساعد برايس في عمله، وأعرف أنه يرغب في المضي فيه.

قال برايس:

ـ هراء. . أنت في إجازة، ويجب أن تري «كولومبو». . أظنها فكرة رائعة. . فلنذهب. . ما رأيك أليكسا؟

ـ حسناً، أمهلاني عشر دقائق لأستعد.

أسرعت إلى غرفتها، شاكرة برايس لأنه لم يحاول دفعها للذهاب مع كيڤن. . ولكن، لو دفعها إليه لرفضت الذهاب. بدأت تتساءل عما إذا كان كيڤن مدعواً من أجل إبعادها عن برايس.

ذهبوا في سيارة برايس لأنها مريحة أكثر من لاندروڤر كيڤن الذين استعاره من موقع العمل. لم تكن أليكسا قد سلكت هذا الطريق من قبل، لذا كان أمامها أمكنة كثيرة مهمة أشار إليها كيڤن.

ـ يجب أن تذهبي لرؤيتها أليكسا. يجب أن تصلي إلى القمة قبل الفجر، حيث تندفع السحب إلى الوادي ثم لا تلبث أن تلحق بها الشمس لتعكس ظل الجبل على كتل الغيم. . ثم يحدث. . ماذا ندعو ذلك الشيء الموجود في الصحراء؟

قال برايس: «سراب».

ـ أجل. . هذا صحيح.

قالت أليكسا بجفاء: «أو وهم».

نظر إليها برايس بحدة، ولكن كيڤن أضاف ببراءة:

ـ لا. . بإمكانك رؤيته. إنه هناك حقاً.

ـ وهل رأيته؟

ـ لا. . ولكن بعضهم شاهده وهم يقولون إنه يستحق الجهد للوصول إلى هناك. لماذا لا نذهب لنرى القمة.

لم تكن أليكسا تعرف ما إذا كانت الدعوة تشمل برايس ولكنها

قالت بخفة:

ـ ولمَ لا؟

عندما وصلوا إلى كولومبو، توقفوا لتناول الشراب، ثم جال بها برايس في المدينة حيث شاهدت عملية إعادة بناء تمثال ضخم لبوذا.

أكملوا سيرهم في طرقات مزدحمة ازدحاماً لم تشهده من قبل. شهقت متأثرة بمنظر التاكسيات ذات الإطارات الثلاث والأغطية التي يمكن رفعها حين تمطر.. أخيراً وصلوا إلى فناء فندق انتركونتنتال القريب.

قالت أليكسا معلقة وهم في المقهى:

ـ أشعر في هذه البلاد بالجفاف دائماً.

وافقها كيڤن الرأي: «وهذه حالي أيضاً».

جلس كيڤن على مقعد مرتفع إلى جانبها، وجلس برايس إلى الجانب الآخر.. راحوا فترة يشربون المرطبات الباردة بصمت.. ثم لامست ذراع أليكسا مرفق برايس، وبدأت ترتعش.. التفتت إلى كيڤن وبدأت تحادثه مع أنها فيما بعد لم تذكر عما تحدثت معه.

ما إن أنهوا شرابهم حتى ارتدوا ملابس السباحة ونزلوا إلى شاطىء قريب للاستحمام. لم تكن أليكسا بارعة جداً في السباحة، لكن الرجلان تسابقا بعيداً فراحت تراقبهما وهي تفكر في سمك القرش أو في التشنج الذي يصيب السباحين. وعندما عادا سالمين تنفست الصعداء وبدأوا اللعب في المياه، يلاحق بعضهم بعضاً.

بعد حوالي ساعة عادوا إلى الفندق وجلسوا في كراسي طويلة يتنعمون بأشعة الشمس قبل أن تغيب، يشربون العصير، يدخنون، ويتحدثون. بدا أن الرجلين على معرفة وثيقة ببعضهما بعضاً.. مع أنهما على الأرجح مختلفان في الثقافة والذكاء، فكيڤن عملي أكثر من برايس؛ إنه رجل عمل معتاد على إلقاء الأوامر وعلى أن يكون مسؤولاً

عمن يعمل معه.. أما برايس فرجل يحتاج في أغلب الأحيان إلى الهدوء والوحدة، ولا يجد عزلته مضجرة.

في الفندق غرف لتغيير الزائرون ملابسهم. هكذا تمكنت أليكسا من الاستحمام وإبعاد ملح البحر وزيت الشمس عن بشرتها.. غيرت ملابسها وارتدت فستاناً أصفر شاحباً ذا ياقة ملتفة حول العنق، بدون ظهر، تنورته طويلة مكسرة. بدا جميلاً أمام لون بشرتها التي لوحتها الشمس.. بدا شعرها أيضاً بعدما جففته بالشوار الذي يوفره الفندق رائعاً. بدا لماعاً ذهبياً.. حتى أنها ارتدت صندالاً ذهبياً.

كان الرجلان بانتظارها عندما خرجت وفيما هي تتوجه نحوهما في الرواق، نظرا إليها نظرة الرجل إلى امرأة. وأصبحت نظرة كيڤن نظرة إعجاب مفتوحة ولكنها لم تستطع قراءة وجه برايس. كانت نظرات النساء حاسدة وهن يرينها مع رجلين وسيمين، ولم تكن نظرات الرجال أقل إعجاباً، وهذا ما أعطى أليكسا دفعة من الشجاعة هي بأمس الحاجة إليها.

أصبحت طاولتهم مركزاً للمرح والضحك، ودفعت أليكسا نفسها لتتألق وتتسلى.. وانسجم معها كيڤن، الواضح أنه يستمتع، وهذه حال برايس الذي بدا أنه ينال قسطه من الأمسية.. ضبطته مرة أو اثنتين ينظر إليها وفي عينيه تقطيبة ذهول.

بعد العشاء ذهبوا إلى مربع ليلي متصل بالفندق. كان هناك فرقة موسيقية محلية تعزف موسيقى أوروبية إنما بصوت صاخب كثيراً. سارع أحد الموجودين إلى دعوتها لمراقصته حتى قبل أن تصل إلى المكان المخصص للرقص، لكن برايس وكيڤن حالا دون ذلك.

حرساها ككلبين يحرسان الغنم. كانا أشد قسوة من والدين مع ابنتهما.. ولكن كيڤن شرح لها السبب:

ـ لا يرقص الرجال والنساء في سيلان معاً كما يفعل الأوروبيون.

يظنون هذا الرقص عملاً غير أخلاقي.. لكن الرجال شاهدوا هذا النوع من الرقص في برامج التلفزيون الأميركية، ويجيئون إلى المرابع الليلية على أمل مراقصة الأوروبيات.. وإن لم يحظوا بفتاة يراقصون بعضهم بعضاً.

طلبها كيڤن إلى الرقص، فابتسمت ورافقته إلى حلبة الرقص الصغيرة. أحست أليكسا بكل العيون تنصب عليها، تراقب كل حركاتها.. حاولت أن تنسى نفسها وتنسى كل شيء وكان ذلك مستحيلاً لأنها ظلت تدير رأسها نحو برايس.. حتى انتهت الرقصة وعادا إلى مقعديهما وكيڤن يقول لها:

ـ كانت رقصة رائعة، لم أستمتع بالرقص منذ مجيئي إلى هنا.

شكرته مبتسمة، وجلست بلهفة، آملة أن يطلبها برايس للرقص.. ولكنه لم يبدُ مستعجلاً، بل راح يحتسي شرابه.. تقدم رجل سيلاني آخر يدعوها للرقص، فوقف كيڤن ذو الطول الفارع، ينظر إليه بغضب، وسرعان ما ذاب الرجل المسكين.

عزفت الفرقة نغم «سلو» فلامس برايس ذراعها:

ـ أليكسا؟

هزت رأسها حتى بدون أن تنظر إليه وتقدمته إلى الحلبة.. لف ذراعه حولها وأمسك يدها اليمنى بخفة، إنما بدون ضمها إليها. رقصا ببطء حول حلبة الرقص الصغيرة.. أحست بتوتر شديد وشعرت بأن أعصابها ستخرج من بين يديها في أية لحظة. أرادت أن يضمها بين ذراعيه، كما فعل ليلة أمس وأحست به يتصلب. فرفعت رأسها ببطء تنظر إلى عينيه.. رأتهما لبرهة ضعيفتين معرضتين لكل أنواع الأخطار، ورأت التوتر على وجهه، ثم سيطر على نفسه مرة أخرى وابتسم لها بعفوية.. ولكن تلك العاطفة التي لا يسمحان لها بالظهور، باتت الآن بينهما، موجودة تكاد تشتعل في أية لحظة. وأصبح الجو

بينهما مشحوناً فجأة حتى أن العالم حولهما كان مجرد صمام أمان.. رقصا، وكأنهما بمفردهما، غير واعيين لمن حولهما. كانت طوال الوقت تفتش في وجهه عن دليل، ولكنه رفض أن تلتقي عيناه عينيها بل ترك وجهه مغطى بقناع.

عندما عادا للجلوس، أدارت أليكسا اهتمامها إلى كيڤن. تسأله أسئلة عن نفسه ثم نهضت لتراقصه بدون تردد عندما عادت الموسيقى.. جلس برايس بمفرده يراقبهما، وحول فمه نظرة اكتئاب.. في الحادية عشرة والنصف هب من دون إنذار سابق وقال:

ـ من الأفضل أن نعود.

احتج كيڤن: «ما زالت السهرة في أولها».

ـ أمامنا رحلة طويلة.. ألا تذكر؟

نظر إلى أليكسا طلباً للعون لكنها قالت:

ـ سأذهب لأحضر أغراضي.

وبدت عليه خيبة الأمل.

عندما خرجوا خشيت أن يحاول كيڤن الجلوس معها، فأطلقت تثاؤبة وقالت:

ـ أنا متعبة، أتعترض إن جلست في المؤخرة بدلاً منك كيڤن.. لأستطيع التمدد قليلاً؟

كان مضطراً للموافقة، بالتأكيد.

كانت ليلة رائعة النجوم فيها أشبه بالجواهر المتألقة في سماء مخملية دافئة قاتمة. تمدّدت أليكسا في المقعد الخلفي، تراقبها وهي تمر بها.. وكان الرجلان يتحدثان بصوت منخفض.. ولكنها لم تصغي بل كانت تنظر إلى برايس الذي يركز اهتمامه على الطريق أمامه. ترى فيما يفكر؟ هل يهتم بها؟ قد تتخلى عن أي شيء مقابل أن تعرف الجواب.. أخذت السيارة تقفز بلطف على الطرقات شبه الوعرة.

قال كيڤن: «لن يستغرق هذا دقيقة.. اسمعي.. لقد استمتعت الليلة حقاً.. لذا فكرت أن نخرج معاً في مساء آخر».

ـ أجل.. بالتأكيد، أنا جاهزة متى كنت وبرايس على استعداد.

ـ لم أقصد هذا، بل قصدت أن نخرج نحن فقط. لدي عطلة مدة أسبوع وفكرت أنني قد أرافقك في جولة على الجزيرة.. هناك أماكن لم أرها بعد مثل قمة آدم، ويمكننا الذهاب معاً.

ـ شكراً، ولكنني لا أريد ربط نفسي بموعد فقد وعدت بمساعدة برايس في كتابه رداً على ضيافته لنا.

ـ ولكنه لا يطالبك بهذا.

ـ أعرف، ولهذا السبب بالضبط أنوي الوفاء بوعدي. لقد كان في غاية اللطف معنا لذا أقل ما أفعله هو مساعدته بأية طريقة ممكنة.

ـ لكنني أريد رؤيتك.

ـ اسمع، لقد استمتعت هذه الليلة، وكانت ليلة مرح.. لكنني التقيتك منذ فترة وجيزة.

ـ هل هناك شخص ما في انكلترا؟ أهذا ما تحاولين قوله؟

ـ لا.. ليس لدي من هو مميز إنما هذا لا يعني أنني أريد إلزام نفسي.. على أي حال، تعرف حالة أبي الذي قد يرغب في ترك المكان والذهاب إلى المستشفى حالما يقدر على الحركة.. أنا آسفة كيڤن.. لكن..

ـ حسناً، لا تكملي، بلغتني رسالتك، ظننت أننا كنا متفاهمين.

ـ لقد تفاهمنا وأنت تعجبني.. لكنني لا أريد أن ألتزم.. فهمت؟

ـ فهمت.. حسناً! لو اتصلت أو جئت، فهل تخرجين معي إن كنت غير مشغولة؟

تنهدت تنهيدة خافتة ثم هزّت رأسها:

ـ شرط أن أستطيع الرفض إن كنت غير قادرة.

أغمضت عينيها وقد هدهدتها الحركة الدؤوب فغفت.

لم تستيقظ حتى توقفت السيارة. وعت أن الحركة خفت.. فتحت عينيها فوجدت أنها مستلقية تحت شعاع القمر، وأن الرجلان ينظران إليها من مقعديهما.

قال كيڤن: «وصلت إلى المنزل.. تبدين الحورية النائمة».

ابتسمت وجلست، ترفع شعرها عن وجهها، تقول بخفة:

ـ ومن منكما سيكون الأمير الوسيم الذي سيعانقني؟

ضحك برايس: هل تلمحين إلى أننا زوج من الضفادع البشعة؟

رفعت حاجبيها ساخرة: «حسناً..»

ضحك وترجل من السيارة يساعدها على الخروج. أحست بتشنج في ساقيها بعد الرقدة الطويلة. مضت لحظات قبل أن تلحق بالرجلين إلى سيارة كيڤن، حيث كان يقول شيئاً بصوت منخفض لبرايس. لكنه صمت حين وصلت.. وقال له برايس:

ـ هل أنت واثق أنك لا تريد البقاء هنا الليلة؟ بإمكانك النوم على الأريكة.

ـ شكراً لك، لكنني مضطر للعودة.

ـ تصبح على خير إذن.

تصافح الرجلان والتفت برايس نحو المنزل. مدت أليكسا يدها:

ـ عمت مساء كيڤن.. سرني أن أتعرّف إليك.

ارتدت لتلحق ببرايس ولكن كيڤن ترك يدها في يده، فاضطرت للالتفات.

ـ تمهلي لحظة.. أود محادثتك.

ـ أنا متعبة كيڤن.. والوقت متأخر.

أحست بالغضب لأنه على ما يبدو طلب من برايس أن يتركهما معاً..

- أو لا تريدين.

ردت ببرود: «وهذا أيضاً».

ضحك فجأة: أنت عنيدة جداً، أليس كذلك؟

- لا.. بل أحب أن أظلّ مستغلة.

جذبت نفسها منه وقالت:

- عمت مساء كيڤن.. كن حذراً في قيادتك.

لم يتحرك فوراً، بل راقبها تبتعد.. أمام الباب وقفت وأحنت له هامتها، فرفع يده بالتحية وعاد إلى سيارته.. كان برايس قد ذهب إلى غرفته، فدخلت إلى غرفتها بسرعة تصغي إلى صوت محرك سيارة كيڤن يبتعد صداه بين الجبال.

***

www.liilas.com

Amil

٦ - صغيرة على اللعبة!

عادت هيما في اليوم التالي، تلك الليلة لم تنم أليكسا جيداً. استيقظت باكراً، وتطلعت بشوق لتناول الفطور مع برايس لكن عندما خرجت إلى الشرفة، كانت هيما واقفة قرب كرسيه، وذراعها على ظهر الكرسي بطريقة مألوفة.. التقت أليكسا نظرة اللؤم في عيني الفتاة، فأشاحت بصرها، وأجبرت صوتها على أن يكون طبيعياً:

- صباح الخير برايس، مرحباً هيما.. كيف حال شقيقتك؟

ردت بأدب يسخر من أليكسا: «أنها أفضل حالاً.. كيف حال والدك؟»

- أحسن حالاً، شكراً لك.

جلست تصب لنفسها بعض عصير الفاكهة، آملة أن تذهب هيما. ولكنها لم تذهب.. ابتسمت أليكسا وسألت برايس: «اليوم عمل؟»

- إلا إذا كنت تفضلين أخذ السيارة للقيام بنزهة.

قالت هيما: «يجب أن تذهبي إلى "أوكانا" هناك تمثال لبوذا يجب أن تريه».

- شكراً لك ولكنني شاهدت مثله في كولومبو. وأظن أنني اكتفيت من دور السائحة لفترة وعلى هذا أرضى أن أقضي الأيام التالية بهدوء.

لم يظهر برايس أنه يلاحظ المعركة الدائرة بينهما أو تظاهر بأنه لم يلاحظ.

قال: «عظيم.. أود أن أتابع العمل اليوم».

راح يتحدث إليهما بنفاد صبر حتى أنهتا الفطور، ثم هبَّ واقفاً:

ـ فلنبدأ قبل أن تشتد حرارة الجو.

جاء الدكتور جانتا في الصباح وقال إن والدها أصبح بخير وبات قادراً على الجلوس على الشرفة فترة كل يوم. كما أنه استغنى عن زيارة ممرض النهار، قائلاً إن الخدم قادرون على تلبية احتياجات المريض.. لكنه راجع الأدوية مع أليكسا، وجعلها مسؤولة عن إعطائه إياها في موعدها..

كان برايس يتصرف بود كحاله قبل رحلتهما إلى «سيجيريا».. كان مستعداً للحديث بذكاء عما تختاره من مواضيع ولم يكتف بذلك بل مازحها بضع مرات. ولكنه لم يحاول لمسها.

بعد العشاء ذهبا لرؤية رالف ويلموت، ولكن ما لبث الرجلان أن شرعا بلعبان شطرنج. حاولت أليكسا قراءة كتاب ولكنها لم تستطع التركيز. وهكذا اعتذرت، وخرجت تتمشى في الحديقة وهي تحس بأن ما من أحد منهما أسف على خروجها. شعرت بأن أي أمل لها بأن يلحق بها قد مات لأن هيما ما تزال في المنزل..

مرَّ اليوم التالي على المنوال نفسه ولكن الجديد فيه أن كيڤن اتصل في المساء، قبل العشاء. كانت أليكسا في غرفتها وعندما قرع برايس الباب ارتدت روبها بسرعة.

قال: «كيڤن على الهاتف.. يريد أن يعرف إن كنت تهتمين بقضاء الأمسية معه في النادي».

ـ هل سترافقنا؟

هز رأسه: «لقد وعدت أن أعطي والدك فرصة الثأر في الشطرنج»

ـ إذن، لن أذهب أيضاً.. شكراً.

ـ لماذا ترفضين؟ سيعتني بك كيڤن.

ـ لا.. لا أريد الخروج بمفردي.

مر ظل خفيف على وجهه، ولم تبرح عيناه عينيها.

ـ أيرضيك أن نذهب جميعاً إلى هناك مساء الغد؟

هزت أليكسا رأسها وقالت بصوت أجش: أجل..

ـ حسناً، سأقول لكيڤن.

عندما قال برايس إنهم ذاهبون جميعاً إلى النادي، ظنت أن هذا يعني أنه سيذهب هو معهما فقط، لكنها لم تدرك أنه كان يعني هيما أيضاً.. خرجت وملؤها الشوق أن تكون معه بمفردها في رحلة الذهاب، لكن آمالها كلها ذهبت سدى عندما رأت الفتاة السيلانية مرتدية الساري المحلي الأزرق.

حاولت بيأس ألا تظهر على ملامحها خيبة الأمل، فابتسمت بإشراق ولحقت بالجميع إلى السيارة. ستجلس على الأقل في المقعد الأمامي معه، مع أن وجود هيما، كما وجود كيڤن الثرثار، كان مثبطاً للعزم. استغرقت الرحلة إلى موقع السد نصف ساعة ولكن الظلام كان قد عمَّ الأرجاء بحيث لم ترَ أليكسا شيئاً.

كانت الطرقات في هذا الوقت من الليل، مكتظة بالناس العائدين إلى منازلهم من العمل في المزارع، وكان على برايس أن يقود السيارة بحذر إذ راح يتخطى الدراجات الهوائية، والشاحنات المحملة بالناس من المعامل..

وصلوا إلى نادي الخبراء في الثامنة والنصف، وكان كيڤن بانتظارهم. سرعان ما استأثر بأليكسا لنفسه فقد تأبط ذراعها واقتادها إلى غرفة كبيرة حيث كان هناك طاولة مرتفعة على طول الجدار، وعلى مقربة منها حلبة الرقص.. كانت الموائد مصفوفة حول الغرفة وكان معظمها مشغولا

بدا أن أغلبية الموجودين من الرجال وكلهم من الأوروبيين.

دهشت أليكسا عندما رأت بضع نساء بيضاوات البشرة، إضافة إلى عدة فتيات سيلانيات.

ما إن دخل بها كيڤن إلى الغرفة حتى عمَّ سكون مؤقت.. وتوقفا لحظات أمام الباب بانتظار برايس وهيما.. بدا أن جميع العيون التفتت إليهما. ثم سرعان ما أصبح كيڤن هدف كل أنواع التعليقات الحسودة.. والواضح أنه ناد يعرف فيه الرجال بعضهم بعضاً. ضحك كيڤن بمرح واقتادها إلى مائدة فارغة. عندما جلست وجدت أنها قبالة هيما، فأسرعت تتحدث بإشراق إلى كيڤن.

ما إن بدأت الموسيقى، حتى أخذ كيڤن يدها واصطحبها إلى حلبة الرقص وهناك عرفها إلى عدة أصدقاء له.. أما النساء البيضاوات البشرة فكن زوجاتهم أو صديقات لهم جئن في زيارة.. لم تكن هناك امرأة بلا مرافق دائم، وهذا ما جعل أليكسا الفتاة البيضاء الوحيدة، غير المرتبطة هناك. ولكن كيڤن أظهر أن له الحق الحصري غير أن هذا لم يمنع معظم الرجال الذين قدموا بمفردهم من التقدم إليها للتعارف. وجدت أليكسا نفسها في طلب متزايد، ورقصت بلا توقف، تقريباً. ولكنها كانت مسرورة لهذا، فهي لا تريد الجلوس والنظر إلى وجه هيما طوال الأمسية.. وجه أخذ يزداد ازدراء بعدما أرسلت أليكسا شعرها فوق كتفيها وتركت الأنغام تستولي عليها ولكن أليكسا لم تكن تهتم لهذا، فهي تستمتع بالسهرة رغم عدم موافقة هيما وبرودة برايس وتحفظه. كان متراجعاً في كرسيه، يراقبها بوجه كئيب. لم يطلبها إلى الرقص، ولم يطلب هيما كذلك بل لم يطلب منها أحد الرقص، مع أن بعض الفتيات السيلانيات هناك كن يحاولن الرقص الغربي.

استحوذ على أليكسا نوع من المشاكسة هذه الليلة. كانت تنظر إلى قسمات برايس القاتمة وتفكر، اللعنة عليه، ولماذا أهتم به؟ والرجل لا يعرف حتى ما يريد! أدارت وجهاً ضاحكاً إلى الرجل الذي يراقصها،

وتركته يأخذها إلى مائدته حيث التقت بعض أصدقائه وظلت تتحدث إليهم عشر دقائق ثم جاء كيڤن مطالباً بها.

بعد وقت، أصرت أليكسا ضاحكة على أن تأخذ قسطاً من الراحة وقالت شاكية:

ـ إنني مرهقة.. لا أدري إن كان السبب الارتفاع، أم الرطوبة، أم الحرارة.. لكن الرقص يؤثر فيّ كثيراً هنا.

شربت بعض العصير من كوبها، ثم نظرت إلى هيما:

ـ لاحظت أنك لم ترقصي هيما.. ألا تجيدين الرقص؟

التوى أنف الفتاة: «بإمكان أي كان رمي نفسه بهذه الطريقة فما هذا برقص. الرقص الحقيقي بحاجة إلى ممارسته منذ الطفولة. كل رقصة هي من التقاليد، وكل الحركات يجب تعلمها.. أما رمي نفسك في دوران كالمجنونة فليس رقصاً».

أراد برايس أن يقول شيئاً ولكن أليكسا سبقته بحدة:

ـ ما تصفينه هو رقص محترف. في بريطانيا لدينا راقصون محترفون، كراقصي الباليه وهو أصعب من رقصكم.. يجب أن تكوني بارعة حقاً حتى تجيدي رقص الباليه.. ولكن ما أتحدث عنه هو الرقص العادي.. أتعرفين هذا؟ أم تراك ترقصين فقط من أجل المال؟

ردت هيما بحقد مماثل:

ـ لا ترقص الفتيات المحترمات هكذا مع الرجال.

قالت أليكسا بعذوبة: لكننا لا نتكلم عن الفتيات المحترمات.. بل نتكلم عنك.

وقف برايس وبين عينيه تقطيبة غضب.. أمسك ذراع أليكسا وقادها إلى حلبة الرقص يسألها:

ـ لماذا تهاجمين هيما هكذا؟

عضت على شفتها، وقد أدركت كم يبدو له هذا أمراً مثيراً

للشفقة.. لكنها لا تستطيع أن تشرح له أن الفتاة الأخرى حاولت التخلص منها بوقاحة.

أجابت بضعف: «إنها لا تحبني».

ـ وماذا في هذا؟ لديك كل ما تفتقر إليه من ميزات.

فكرت أليكسا: لا ليس كل ميزة.. فلديها أنت أما أنا فلا..

أضاف برايس: «وتعرفين أنها لا تستطيع الرقص، فهذا ضد تقاليدهم».

قالت تدافع عن رأيها: «أرى فتيات سيلانيات هنا يرقصن.. وفي النادي في كولومبو رأيت رجالاً من السيلانيين».

ـ أولئك الفتيات أقل من مستوى هيما.. ما كن ليرقصن لو أن في المكان رجال من عرقهن.

لم تتمالك أليكسا نفسها عن التعليق بلؤم:

ـ أستغرب تصرفك. لماذا تقلل من مستواها بالمجيء إلى هنا؟.

ازداد عمق تقطيبة برايس: «جاءت لأنني دعوتها».

لم يشرح لها السبب، وهذا ما تركها تتساءل ببؤس عما إذا كان السبب عدم رغبته بالانفراد بها، أم لأنه يفضل صحبتها. لم يسعدها السببان وللمرة الأولى لم ترغب في أن تكون قربه، فهي تعرف أنها من وجهة نظره، تستحق غضبه.. وأرادت العودة إلى المنزل.. ولكن ذلك المنزل هو المكان الذي ستراهما فيه معاً. رغبت فجأة في الابتعاد وفي عدم رؤيته مرة أخرى.. وتاقت للعودة إلى انكلترا لتنسى أنها التقت به يوماً.

اشتدت ذراع برايس حولها: «ما الخطب؟»

ظل رأسها مطأطأ: لا شيء.

ـ أليكسا؟

عندما لم ترد، أمرها بحزم:

ـ أليكسا، انظري إليّ.

رفعت بصرها إليه، كانت شفتاها ترتعشان فجاهدت للسيطرة على نفسها.. تفرست عيناه في وجهها.. تحركت شفتاه، وظنته يتمتم شيئاً من بين أنفاسه، لكنها لم تسمع ما قال.. فأدارت رأسها عنه وقالت بجفاء.

ـ أنا متعبة.. أيمكن أن نعود إلى المنزل بسرعة؟.

ـ أجل.. فوراً إن أردت.

عادا إلى الطاولة، وقال للآخرين:

ـ حان وقت الذهاب.. شكراً لك على هذه الأمسية الرائعة كيڤن.

احتج كيڤن: «ما زال الوقت باكراً، إسهروا مدة أطول».

ـ الفتاتان متعبتان..

ـ أليكسا غير متعبة.. اسمع اصطحب هيما إلى المنزل الآن إن أرادت على أن أصطحب أليكسا فيما بعد.

احتجت أليكسا بسرعة:

ـ أوه.. لا.. هذا إزعاج كبير لك. شكراً كيڤن.. سأذهب إلى المنزل معهما.

ـ لا إزعاج أبداً، يمكنني بسهولة..

قالت بصوت مرتفع حاد: «كيڤن.. أفضل هذا».

نظر إلى وجهها فرأى التوتر واضحاً.

ـ حسناً. سأرافقكم إلى السيارة.

رافقهم إلى السيارة، ولكنه تباطأ في خطواته ليكون مع أليكسا في المؤخرة:

ـ هل لي أن أتصل بك بعد يومين؟

شعرت بالندم لأنها صاحت في وجهه، وهزت رأسها موافقة:

ـ أجل، سيسرني ذلك. شكراً لك على هذه الليلة كيڤن.

أدارها لتواجهه، ثم ضمها إليه قليلاً:

ـ أراك فيما بعد إذن.

ـ أجل..

تقدمت إلى السيارة فوجدت هيما جالسة في المقدمة، وبرايس واقف عند الباب الخلفي يفتحه لها.. في طريق العودة اندفعت هيما تتحدث إليه عن أشخاص وأماكن لا تعرف أليكسا عنها شيئاً.. ما إن وصلا إلى المنزل حتى ألقت أليكسا تحية مساء سريعة، وذهبت إلى غرفتها، لتشغل صنبور المياه في الحمام بقوة لئلا تسمع وقع خطواتهما وهما يدخلان إلى غرفته.

في اليوم التالي أبدى رالف ويلموت استغرابه بسبب قلقها الشديد عليه.. فقد دخلت إلى غرفته وأعطته الدواء، ثم شجعته أن يدع الخادم يلبسه ملابسه ليخرج بعد الفطور ويجلس على الشرفة قبل أن تشتد حرارة الجو.

ـ أنت تتماثل للشفاء.. وسرعان ما ستكون قادراً على السير في الحديقة.

وأضافت لنفسها: وسرعان ما ستكون بخير لتركب سيارة وتذهب إلى أقرب فندق.. فجلّ ما تريده الآن هو الابتعاد عن برايس في أسرع وقت ممكن.

عملت، تقريباً، طوال النهار. وكان برايس معها في مكتبه لبعض الوقت ولكن عندما خرج والدها إلى الشرفة ذهب ليجالسه وتركها تتابع العمل بمفردها. طبعت بسرعة كبيرة فهي تريد أن تنهي الطباعة لئلا تشعر بأنها ناكرة المعروف. في نهاية ذلك اليوم وجدت أن برايس لا يسبقها إلا بفصلين اثنين.

وقفت تمدد كتفيها. كانت الشمس تغرب مع أنها لم تلاحظها حتى، دخل برايس عندما كانت تغطي الآلة الكاتبة، ونظر إلى كومة

الأوراق المطبوعة:

ـ أنجزت عملاً كثيراً اليوم. كدت تلحقين بي.. لست مضطرة للعمل هكذا..

ردت بخفة: «لا أريد أن أظلّ متأخرة.. هل تعذرني؟ يجب أن أستعد للعشاء».

ـ هل ستخرجين مع كيڤن الليلة؟

ـ لا.

ـ أراك متفقة معه.

هزت كتفيها وظهرها له:

ـ إنه لطيف.

ـ حسناً، أنت غير مضطرة إلى البقاء هنا بغية مساعدتي إن دعاك للخروج.

عضت شفتها بقوة، وتمكنت من القول.

ـ لا.. لن أفعل هذا.. بالتأكيد لا.

ثم هرعت إلى غرفتها.

صرف الاهتمام بدواء أبيها، وحاجاته الأخرى، تفكيرها عن أشياء أخرى.. جلست معه فترة في المساء. دخل إليه برايس أيضاً فلاعبه الشطرنج مرة أخرى.. كانت أليكسا جالسة في مقعد وبين يديها كتاب. لكن اهتمامها كان ينجرف عن الصفحات ويتحول إلى برايس وإلى أبيها. بعد حوالي ساعتين، خرج برايس ليحضر شراباً. نظر إليها رالف ويلموت عاقد الحاجبين:

ـ هل من خطب؟

رفعت رأسها دهشة: «ماذا تقصد؟»

ـ كنت تنظرين إلينا بدل القراءة طوال المساء.. فإن كان عندك ما يشغل بالك، فقوليه لي.

ترددت: «لا، أنا بخير حقاً ولكنني أرى أن من المستحسن أن ننتقل إلى فندق حالما تصبح قادراً على تحمل مشاق الرحلة».

عبس والدها، وسأل بصراحة:

- هل قال برايس إنه يريد أن نرحل؟

- آه! لا، أبداً.. ولكنني أراها فكرة صائبة.

قال متذمراً: «أعتقد أنك ضجرت.. لكنني مستريح هنا إذ أتلقى عناية لن أتلقاها أبداً في فندق. إن لم يكن يعجبك المقام هنا فاذهبي أنت. وأنا واثق أن برايس لن يعترض.. مع أنني ظننت أن من المفترض أن تساعديه في كتابه.. أعتقد أنك لا تحبين العمل، أهذا هو ما يزعجك؟»

ردت ببرود: أبداً.. أنا من عرضت عليه المساعدة، وسأستمر حتى ينتهي الكتاب.. غير أنني لا أريد استغلال حسن ضيافته أطول مما هو ضروري. هذا كل شيء.. على أي حال، هو لم يدعنا للإقامة هنا، صحيح؟

منعته عودة برايس من الرد، وشرعا بلعبة جديدة. عندئذ تمنت لهما ليلة سعيدة وذهبت لتنام.

ما إن حل موعد الغداء في اليوم التالي، حتى كانت تجاري برايس في ما وصل إليه.. كان جالساً بهدوء وراء المكتب غارقاً بعمله فلم يلاحظ أنها توقفت عن الطباعة. أمضت نصف ساعة بتنظيف الآلة. ثم ذهبت لإقناع والدها بالانضمام إليهما للغداء على الشرفة.. اعتنت به كثيراً وتأكدت من جلوسه في الظل. تمتم أكثر من مرة بأنها امرأة تبالغ في اهتمامها لكنها لاحظت أنه مستريح لكل ما تفعله له.

بعد الغداء، ارتدت البيكيني، وخرجت تطلب الاستحمام تحت أشعة الشمس. اختارت مكاناً معزولاً بين أشجار الطيب حيث كانت الشمس تنصبّ على بقعة من العشب. عرضت جسمها للشمس ساعة

أو ساعتين. أغمضت عينيها أمام وهج الشمس الذي كاد يخترق جفنيها. قالت لنفسها إن عليها أن تضع المزيد من الزيت ولكنها شعرت باسترخاء شديد فتكاسلت عن هذا. تركت تفكيرها يجول بها أنّى شاء، ولكنه كان يعود دائماً إلى برايس. غفت، ثم استيقظت، وغفت مرة أخرى، في المرة التالية التي فتحت فيها عينيها كان برايس واقفاً فوقها.. في البداية لم يلاحظ أنها استيقظت لأن عينيه كانتا تتأملان إياها بطريقة لا يجرؤ على استخدامها في يقظتها.

ثم، وصلت عيناه إلى وجهها، فوجد أنها ترد عليه نظرته. تلاقت عيونهما، وتشابكت لحظات بدت تمتد إلى ما لا نهاية. كانت عيناه ووجهه، في تلك اللحظات كل عالمها، ولم يكن في الدنيا شيء يغريها بإفساد هذا السحر.. لكن حاجبا برايس ارتفعا وجثا على ركبتيه إلى جانبها.

قال بصوت أجش على غير عادة وهو يتناول زيت الشمس:

- ستحرقين بشرتك إن لم تضعي المزيد من الزيت.

فتح الزجاجة، وصب شيئاً من السائل البني الكثيف في يده، وبدأ يفرك لها كتفيها.

أرادت أن تغمض عينيها، لتترك المجال لأحاسيسها حتى تنعم بلمسة يديه، ولكنها تركتهما مفتوحتين، ومركزتين على وجهه.. تحركت يداه بخفة وبطء، وبضربات رتيبة.. لم ينظر إلى وجهها، بل كان يراقب عمل يديه..

توقفت يداه عندما التفت لينظر إلى وجهها. حدقت إليه فبانت أحاسيسها كلها في عينيها. ولكنها لم تستطع رغم التركيز على عينيه أن تعرف أفكاره أو مشاعره.. فهو كالعادة غلفهما خلف قسمات مبهمة..

توقفت يداه عند خصرها ثم تحركتا قليلاً قبل أن تشتدا لحظة، ثم

تراجع على عقبيه ونهض برشاقة.

قال بإيجاز: آسف.. ولكنك كنت بحاجة إلى ما يقيك حرارة الشمس.

هز رأسه باقتضاب ثم اختفى بين الأشجار.

إنها الآن أكثر من أي وقت مضى، بحاجة للابتعاد عنه.. فلو لامسها ثانية لما قدرت على المقاومة، ولارتكبت شيئاً مجنوناً: إما أن تأخذ أول طائرة لتعود إلى بريطانيا.. وإما تعترف له بحبها. وهذان التصرفان قد يقودانها إلى ما لا تحمد عقباه.. لذلك، عندما اتصل بها كيڤن بعد ساعة طالباً منها الخروج للعشاء معه، وافقت بلا تردد.

تناولا العشاء في نادي الجبل في «ناوارا ايليا» في المكان الذي زارته مع والدها قبل الحادثة مباشرة.

تناولا وجبة لذيذة.. ثم رقصا على وقع أنغام «السوينغ» و «الجاز» الأميركية. وهي موسيقى بدت متنافرة مع ذلك المكان..

حاول أن يجذبها إليه وهما يرقصان، فابتسمت له وتركته يضمها، لكن بعد دقائق، ابتعدت عنه مجدداً.

كانت الساعة تقارب الواحدة صباحاً عندما تركا النادي. قادها كيڤن إلى المنزل وهناك سألها:

- ما رأيك بمرافقتي للنزهة ولمشاهدة معالم الجزيرة؟

- أجل.. أستطيع هذا غداً إن أحببت؟

بدت الدهشة والرضى عليه: «أتقصدين في وقت ما من الغد؟».

ضحكت أليكسا: «أجل.. إن استطعت أخذ إجازة».

- هذه ليست مشكلة. قلت لك سابقاً، إنهم مدينون لي ببعض العطل.. أين ترغبين أن نذهب؟

تثاءبت: «اختر أنت، لأنك تعرف الأمكنة عكسي أنا».

- حسناً.. هل تناسبك الساعة الثامنة والنصف، أم أن الوقت

مبكر؟

- لا.. إنه وقت رائع. من الأفضل أن أتمنى لك ليلة سعيدة الآن، لتستطيع العودة والنوم قليلاً.

مد يديه ليضعهما على كتفيها، ثم شدها إليه:

- مهلك لحظة كانت ليلة رائعة أليكسا.. وأنت فتاة رائعة.

- شكراً كيڤن ولكنني...

وصمتت بعدما احتواها بين ذراعيه.. تراجعت وقالت بحزم:

- سأدخل الآن. أراك في الصباح.

وترجلت من السيارة قبل أن تفسح له فرصة منعها.

أفضل ما تفعله قبل الإيواء إلى غرفتها، هو ترك مذكرة للخدم تقول فيها إن عليهم إيقاظها في السابعة والنصف، وتقديم الفطور لها في الثامنة.. تركت المذكرة في مكان بارز في المطبخ.

ولكن في طريق العودة إلى غرفتها انفتح باب المكتبة ووقف برايس يحيط به إطار من النور المتدفق من الداخل.

سأل بحدة: «من هناك؟»

استحوذت عليها للحظة رغبة طفولية، تدفعها إلى الهرب إلى غرفتها، لكنها تغلبت عليها ولم تتغلب على تزايد خفقات قلبها.

ردّت: «هذه أنا.. أنا آسفة على إزعاجك».

- هل من خطب؟

- لا.. كنت أترك مذكرة للخدم حتى يوقظوني باكراً.

- وهل ستخرجين مع كيڤن مرة أخرى غداً؟

- أجل.

- وهل قضيتما وقتاً ممتعاً الليلة؟

- أجل.

بدا لها من الغريب أن يتحدثا هكذا في عتمة المنزل الصامت.. لم

يكن للحديث معنى بل هو مجرد كلمات . . لا تدرك معناها، تقريباً . .
اقترب منها أكثر وقال :
ـ أين ذهبتما؟
ـ إلى نادي الجبل في «ناوارا ايليا» .
ساد الصمت بينهما ثم عجَّ بشرارات كهربائية، يولدها شوقهما إلى بعضهما بعضاً، فجأة كسر برايس الصمت ليقول بصوت أجش :
ـ تبدين وكأنك ابنة أربعة عشر عاماً .
ـ صحيح، لكنني لست مراهقة . . انظر جيداً .
وتعمدت الاقتراب إلى هالة الضوء المتدفق من المكتبة .
ـ لا . .
خرجت منه الكلمة غصباً عنه ثم وضع يديه في جيبيه، ليستطيع السيطرة عليهما . . فقالت :
ـ ألن تعانقني عناق المساء؟
نظر إليها طويلاً، ثم قال : «لا أراها فكرة صائبة» .
ردت وفي صوتها شيء من الألم .
ـ لماذا؟ لقد عانقتني بشغف تلك الليلة في الحديقة .
ـ أجل . . أعرف هذا . . ولكن ربما لم يكن أيضاً عملاً صائباً .
اتسعت عينا أليكسا في وجهها الجامد :
ـ ماذا تقول؟ أتعني أنك لم تستمتع بمعانقتي؟
تمتم : آه . . بلى . . استمتعت به كثيراً .
وانتزع يديه من جيبيه ثم تقدم منها ليضع يديه على ذراعيها . . سرعان ما سرى نوع من الصدمة الكهربائية في أوصالها، فارتجفت .
قال : «لم يكن عليّ معانقتك تلك الليلة» .
نظرت إليه، خائفة أن تلمسه :
ـ لماذا؟ هل ارتكبنا غلطة؟

ـ أجل .
ـ لكن لماذا؟ ألا . . ألا تريدني؟
اشتدت يداه عليها وتمتم بشيء من بين أنفاسه :
ـ أريدك؟ لا شأن لما أريد بما أقول .
ـ لا شأن له؟ ظننت أن له كل الشأن . . أعرف أنني أريدك برايس بل أريدك بيأس .
ارتدّ خطوة عنها : «لا تقولي هذا . أنت صغيرة جداً . .»
ـ بالله عليك . أكاد أبلغ الحادية والعشرين . كم تظن أن على المرء أن يكون عمره ليقع في الحب؟
تسمر في مكانه، ونظر إليها بحدة : «أتقولين إنك وقعت بحبي؟»
ردت ببطء وبصوت تخنقه الأحاسيس :
ـ نعم . . نعم . . أظنني وقعت في حبك .
لم يتحرك ولم يتكلم فانتظرت بعذاب لترى ما سيقدم عليه . ثم قال بصوت أجش متكسر :
ـ حقاً؟ ربما تحبين عملي؟ وتحبين شهرتي وتألقي؟ أتظنين أنك كنت ستقعين في حبي بهذه السرعة لو لم أكن كاتباً؟
نظرت إليه أليكسا بذهول :
ـ إنما . . إنما لا شأن لعملك بما أشعر . . بل لا يهمني ما تعمل فما زلت . .
ـ لا؟ وهل أزعجت نفسك بالتفكير قليلاً؟
ارتدَّ عنها حتى أمسك ظهر كرسي . .
أضاف : «حسناً . . ربما تؤمنين أن ما تشعرين به هو الحب ولكنها ليست المرة الأولى التي يحدث لي هذا أليكسا . تميل الفتيات الصغيرات إلى الوقوع في حب رجال مشهورين ولكن سرعان ما تتلاشى الفتنة أو يميل الرجل إلى فتاة أخرى . . إن هذا أمر رائع لمن

يستغل الفرصة من الرجال».

ـ وهل.. استغليت الفرصة يوماً؟

ـ أحياناً.

ـ ولكنك لا ترغب في هذا الآن؟

ارتدَّ إليها فجأة: «أنت ضيفة عليّ».

تصاعد الغضب في أعماقها.

ـ لماذا لم تفكر في هذا من قبل قبل أن تعانقني فتجعلني أتوهم شيئاً؟.

ـ وما هو عناق عابر؟ يبدو أنني نسيت أنك صغيرة لتعرفي قوانين اللعبة.

ـ لعبة؟ أهذا ما هو الأمر بالنسبة لك؟ بالله عليك! ماذا تظنني.. أتظن أنني.. مراهقة فتنتها بسحرك؟ أنا لست مراهقة برايس. إن ما أشعر به تجاهك حقيقي جداً. صدقني!

ابتسم بسخرية لاذعة:

ـ ألم يحن وقت النوم؟ لا تريدين ترك كيڤن منتظراً في الصباح..

نظرت إليه، وقد غشيت الدموع عينيها.. ثم شهقت بعجز، وهرعت إلى غرفتها.

كانت في الوقت المحدد لملاقاة كيڤن، والسبب بسيط هو عدم قدرتها على النوم تلك الليلة. عندما وصل كانت بانتظاره أمام الشرفة وأمامها سلة طعام للنزهات وعلى عينيها نظارة سوداء تخفي الظلال السوداء حول عينيها.

للمدينة التي زاراها اسم يصعب عليها نطقه «بولوناروا» فيها أمضيا وقتاً طويلاً.. ومع أن أليكسا ظلت محافظة على تظاهرها بأنها مهتمة بكل ما تراه، إلا أنها سرعان ما وصلت إلى قناعة بأن المدن القديمة تتشابه. في منتصف النهار شعر كلاهما بالتعب فاقترح كيڤن أن يتناولا

طعام نزهتهما تحت شجرة وارفة الظلال، ذكرت أليكسا بمناسبة مماثلة مع برايس، لذلك أصرت على الذهاب إلى فندق حيث تناولا طعام النزهة على مائدة قرب مسبح.

لم تكن تشعر بحب تجاه كيڤن وإن سمحت له بمغازلتها فلترضي نفسها ليس إلا ولكنها تعرف رجلاً واحداً قادراً على إرضائها.

راقبت كيڤن يصعد من المسبح الذي نزل إليه.. لوح لها فرفعت له يدها بكسل.. لا شك أنه جذاب.. وقد يساعدني في التخلص من الإحباط التي يكاد يدفعني إلى الجنون.. بل قد يساعدني في ردي إلى جادة حياتي السابقة.. وقد يعجبني إلى درجة الإقدام على الزواج به.

اندفعت الدموع إلى عينيها، فمسحتها بغضب.. اللعنة على برايس! لقد فعلت كل شيء له.. كيڤن ليس كبرايس، ولن يستطيع أن يحلّ محله.

بعد الغداء، ناما قيلولة قصيرة، ثم أنهيا استكشاف المدينة القديمة. في طريق العودة توقفا عند مطعم لمأكولات البحر فتعشيا. تعمدت أليكسا إطالة وقت الطعام، كي يتأخر الوقت قبل عودتهما.. وفي اليوم التالي صحبها كيڤن إلى محمية حيوانات وفي اليوم الذي تلاه إلى «غال» في الساحل الجنوبي حيث سبحا وجالا في المدينة التي تناولا فيها الشاي على الطريقة الإنكليزية.

لم تشاهد أليكسا برايس في هذه الأيام، إذ كانت تخرج قبل أن تراه وتتوجه إلى غرفتها حالما تعود في المساء، أما والدها فكانت تتسلل إلى غرفته عندما تتأكد أنه بمفرده. لكن عندما كانت تغادر المنزل في اليوم التالي، سمعته ينادي اسمها. ترددت لبرهة ثم تابعت المسير، متظاهرة بعدم سماعه وآملة أن تصل إلى حيث ينتظرها كيڤن، قبل أن تضطر إلى مواجهته. ولكن، قبل أن تفتح الباب سمعته مرة أخرى:

ـ أليكسا.

كان وراءها تماماً فاستحال عليها الهرب. ارتدت ببطء إليه فصدمها مظهره. بدت عيناه متعبتين واعتلت وجهه الكآبة. أرادت أن تحتضنه وأن تقبل خطوط التعب على وجهه لتجعله يبتسم مجدداً. ولكن، جزءاً منها قال إن ما يعتريه عائد إلى السهر على التأليف أو إلى السهر مع هيما.

ردت ببرود: «نعم».

طافت بها عيناه:

ـ هل أنت خارجة طوال اليوم مرة أخرى؟

ـ أجل.. كيڤن بانتظاري في الخارج.

ارتدت لتمسك مقبض الباب.

مد يده: «سأفتحه أنا».

وفتح الباب بسهولة ولكن يده غطت يدها. فارتجفت أليكسا بقوة وجذبت يدها منه وكأن ناراً حامية مستها. لم تستطع الابتعاد لأنها عالقة بينه وبين زاوية الباب، ولكنها ارتدت تواجهه متحدية.

ـ لدي دعوة لك.. هيما ستظهر في استعراض للرقص السيلاني في «كاندي» مساء الغد، وقد أعطتني تذكرة لك.. اعتقدت أنك ستحبين مشاهدة الرقص السيلاني التقليدي.

ردت ساخرة: «هل فعلت هذا حقاً؟ آسفة، لدي موعد مع كيڤن غداً».

ـ إنه مدعو أيضاً..

ـ لا أظنه سيقبل. والآن، هلا سمحت لي..

ارتدت لتفتح الباب، لكن برايس عاد وأغلقه.

ـ ألا تظنين أنك مدينة لها بالذهاب؟ لقد كنت فظة معها في النادي الأسبوع الماضي. إن أقل ما يمكنك فعله هو مشاهدة رقصها.

ـ أنا غير مهتمة.. أنا..

ـ أنت جبانة!

ـ لست جبانة!

ـ ألست جبانة؟ إذن لماذا تخافين من مشاهدتها وهي ترقص؟

لا فائدة من قول الحقيقة أمامه.. لا فائدة من القول له إن هيما لا تريد غير إظهار براعتها. شدت الباب بقوة فاجأته. فتحته وأسرعت إلى الخارج.

كان كيڤن بانتظارها وراء مقود سيارته. بدا دهشاً عندما لحق بها برايس إلى الخارج.

قال له برايس بحدة:

ـ تريد هيما منا أن نذهب إلى كاندي لرؤية رقصها ليلة غد.. أتريد الذهاب أم لا؟

ترجل من السيارة ووقف معهما:

ـ لا مانع عندي.. هل ستذهب أنت؟

ـ أجل.. سأوصل الفتاتان إلى هناك.

ـ حسناً.. إذن.. سألحق بكم.

نظرت أليكسا إلى برايس بحقد لأنه أوضح له ببساطة أنها موافقة.

قالت: «لسنا مضطرين إلى الذهاب إن كنت لا تريد».

لكن كيڤن لم يفهم ما وراء الكلمات.

ـ لا.. فهذا يناسبني.. ثمة أماكن كثيرة هناك تستحق المشاهدة.

صعدت السيارة، مشمئزة منهما كلاهما ولكنها تريد الابتعاد عن برايس، وقف الرجلان يتحدثان عدة دقائق قبل أن يصعد كيڤن أخيراً ويجلس إلى جانبها.. أمضيا يومهما في كولومبو. ولكن اليوم بالنسبة لأليكسا قد فسد، جلست بصمت في مقعدها وعندما حاول كيڤن مكالمتها صاحت به، فنظر إليها بجفاء وتركها وشأنها. بعد ساعة تمكنت من تهدئة نفسها قليلاً، وما إن حل الغداء حتى كانت قد عادت

إلى طبيعتها. أمضيا بعض الوقت يتجولان في سوق كولومبو الشعبي الزاهي الألوان. ثم عادا إلى فندق «انتركونتنتال» للسباحة.. كان يوم أحد، فيه الناس قد قصدوا المسبح للسباحة.

راقبتهم أليكسا يلعبون في الماء ويضحكون. سألت فجأة:

ـ كيڤن.. هل خرجت يوماً مع فتاة سيلانية؟

كان مستلقياً على معدته، فرفع نفسه عن المقعد ليستند إلى مرفقه:

ـ بضع مرات.. ولكن الفتيات المحترمات يرافقهن دائماً مرافقة أو خادمة.. أما الصنف الآخر فيحاولن الحصول على أكثر قدر ممكن من المال.

ـ إنهن جميلات.

ارتد ليجلس:

ـ بالتأكيد، يكن وهن صغيرات من أجمل الفتيات في العالم.. ولكنهن يتزوجن صغيرات.. ويعملن بجهد، وينجبن طفلاً كل سنة، فيصبحن عجائز في عمر الثلاثين. هل قابلت امرأة منهن ما تزال جميلة بعد الخامسة والعشرين؟

ـ لا.. أنت على حق.

ـ ثم لا يمكن مقارنة أية واحدة منهن بفتاة إنكليزية شقراء أعرفها.

وابتسم لها يشدها إلى المسبح.

تلك الليلة، طلب كيڤن منها أن تبقى معه.. صحيح أنه لم يسألها مباشرة، بل استخدم تقدماً أكثر لباقة.

ـ ما رأيك لو نذهب إلى قمة «آرم» لنراقب الفجر؟

ـ لا أدري، قد يكون هذا أمراً رائعاً.. أتقصد أن نذهب الآن؟

ـ لا.. بل في وقت آخر.. فالوقت متأخر الآن.. يجب أن نصل إلى النزل في منتصف الطريق إلى القمة باكراً في المساء. نتعشى ثم نمضي جزءاً من الليل هناك وبعد ذلك نتسلق القمة قبل الفجر..

ـ لماذا لا يمكنك قيادة السيارة إلى هناك ثم تسلق القمة؟

ـ الطريق خطرة في الليل.. فثمة منعطفات حادة. عليك الوصول إلى المكان نهاراً.

كان قد أوقف السيارة على جانب الطريق، يراقبان مئات اليراعات المضيئة الطائرة.. وعقد ذراعه حول كتفيها، وتمتم:

ـ قد تكون ليلة للذكرى.

تنهدت وابتعدت عنه: «لا أدري. سأفكر في الأمر».

حاول إقناعها ولكنها لم تلزم نفسها بشيء، أخيراً شغل المحرك وقاد السيارة في الظلام..

نظرت أليكسا إلى الخارج تفكر في ردة فعلها في ما لو تلقت هذا العرض من برايس؟.

كان على كيڤن لسوء الحظ أن يعمل في اليوم التالي. لذا تخوفت أليكسا من قضاء النهار مع برايس في مكتبه. وعندما جمعت أخيراً شجاعتها لتخرج إلى الشرفة في الصباح التالي، وجدته مرتدياً بذلته وهو على أهبة الاستعداد للخروج.

قال لها وهو يضع من يده فنجان قهوته:

ـ لدي أعمال أهتم بها في كولومبو. ولكنني راجع في الوقت المحدد لأصحبك وهيما إلى كاندي.

سألته وهي تتجنب بحذر النظر مباشرة إليه:

ـ هل هناك المزيد من الفصول الجاهزة لأعمل عليها؟

قال: لقد أنهيتها، أكملت طباعتها من حيث توقفت. ظننتك لا تريدين قضاء الوقت في الطباعة.

رفعت رأسها تنظر إليه بثبات:

ـ قلت لك إنني سأنهيها، وكنت أعني ما أقول.

أوشك أن يقول شيئاً ولكنه عاد فغيَّر رأيه:

- أراك فيما بعد. . إذن.

ذهبت إلى المكتب حيث شغلت نفسها بالعمل وظلت هناك طوال النهار استطاعت خلاله إنهاء عدة فصول، ولم يبق لها إلا بعض الأوراق التي تحتاج إلى صبيحة واحدة.

يبدو أن برايس عاد إلى المنزل فيما كانت تستحم وتغير ملابسها. .

التقت كيڤن قبل أن تلقى برايس فقصدا غرفة الجلوس ثم بعد عشر دقائق دخل برايس فوجدهما يحتسيان العصير. كان يرتدي قميصاً بلا ياقة وثوب «سارونغ» وطني يغطي ساقيه، انفجر كيڤن ضاحكاً ودهشت أليكسا.

قال كيڤن: «لن ترتدي هذا الزي حقاً؟»

رد برايس بلا تردد:

- ولمَ لا؟ الفندق الذي سيقام فيه الاستعراض غير مكيف، وهذا يعني أن هذا السارونغ عملي في هذا الطقس. لماذا تظن إذن أن معظم أهل البلاد الحارة يرتدونه؟

- أتشعر بقلة راحة فيه؟

- أبداً. الواقع أنه أفضل من السروال، يجب أن تجربه.

وضحك. . فرد كيڤن بحزم:

- لا. . شكراً.

توقف قليلاً ثم أضاف ضاحكاً:

- هناك ما أود معرفته. . أخبرني أحدهم أن «السارونغ» كالتنورة الاسكتلندية، وأنهم لا يرتدون شيئاً تحتها. . فهل هذا صحيح؟

مازحه برايس:

- أتريد أن تعرف؟ اشتر واحداً وأنا أخبرك.

تابع الرجلان المزاح بضع دقائق، ثم دخلت هيما. . لم تدخل هكذا ببساطة، بل تقدمت إلى باب الشرفة من الحديقة، ووقفت

بالباب. . كانت الشمس الغاربة خلفها. ارتدت «ساري» بلون ذهبي جميل، مع بلوزة صغيرة مماثلة. كان وجهها مثقلاً بالماكياج استعداداً للعرض الراقص. . وكانت يداها تعجان بالأسوار وكان في أذنيها قرطان كبيران فيهما جواهر خضراء.

حصلت على السكون الذي رغبت فيه، ثم خطت إلى الداخل فتحرك برايس مرحباً بها. . وهنأها على مظهرها، ولحق به كيڤن. . ثم التفتت السيلانية إلى أليكسا بابتسامة ساخرة، وكأنها تتوقع منها أن تبقى ساكتة. . لكن أليكسا قالت:

- تبدين. . غريبة. . شرقية جداً.

وهذا ما لم تستطع هيما أن تفهم منه شيئاً.

ابتسم برايس وهو ينظر إلى الفتاتين، وتقدم ليأخذ كأس أليكسا الفارغة. قال: «أنت أيضاً تبدين غريبة جداً»

ولم تفهم هي أيضاً عبارته.

ابتسم لكيڤن:

- يبدو أن معنا الليلة أفضل ما في العالمين.

في أثناء الرحلة إلى «كاندي» جلست أليكسا في الخلف مع كيڤن، وما إن وصلوا إلى الفندق حيث سيجري العرض، حتى اختفت هيما إلى المكان المخصص للراقصات لترتدي أول الأزياء. . توقعت أليكسا شيئاً أفخم مقاماً. كانت الأضواء تنصب من صف مصابيح كهربائية، بدائية المظهر، مثبتة في المقدمة. . على الجدار خلف المسرح، علم سيلان المثبت إلى الحائط.

رافقهم شاب نحيل أنيق المظهر إلى مقاعدهم في الصف الأمامي، المحجوزة لهم. كان في المقصورة بضعة أشخاص وهم جميعهم من السواح تقريباً، وقد شكا معظمهم من عدم القدرة على الرؤية الجيدة. تأخر العرض ربع ساعة عن موعده، وعندما

حان وقت البدء بالعرض كان المكان قد أصبح حاراً جداً. تمنت أليكسا لو جلبت معها مروحة يد كسائر النساء.

دخل أول الرجال إلى المسرح مرتدياً زياً تقليدياً فقرعت الطبول بصوت قوي كاد يصمّ الآذان. في المشهد الأول ظهرت هيما في رقصة تدعى «يوجا» كان معها راقصتان وقفت هي بينهما.. كن رشيقات بشكل متماثل، وجميلات ومتدربات. استطاعت أليكسا أن تفهم جيداً ضرورة تعليمهن الرقص من سن مبكرة، كانت الرقصة مثيرة للاهتمام والانتباه ولكن أليكسا وجدتها رقصة تفتقر إلى الحياة والحركة العفوية، فلا عاطفة فيها.

خصص البرنامج أربع عشرة رقصة وفي منتصف البرنامج، كان الجميع تقريباً ينضحون عرقاً ويتوقون إلى شراب بارد.

كان البرنامج طويلاً، دام أكثر من ساعتين. ازدادت الكراسي الخشبية القاسية قسوة مع الوقت فتحركت أليكسا منزعجة منها ومن عويل المزامير التي تنحت في أعصابها وتصيبها بالصداع. تمنت لو ينتهي الأمر.. وتشوقت إلى احتساء شراب بارد منعش.. عندما انتهى كل شيء أخيراً توجه ثلاثتهم إلى الطابق الأرضي في الفندق حيث هناك على الأقل مروحتان كهربائيتان تبردان المكان.

اشترى لها كيڤن كوكتيل الفاكهة فشربته دفعة واحدة.

ـ جيد جداً.. كنت بأمس الحاجة إليه.

ضحك كيڤن وبرايس على انفعالها وعندما رفعت بصرها ضبطت عينا برايس تحدقان إليها فقفز قلبها بجنون، ثم أخذ يخفق بسرعة.

سألت: «هل لي بكوب آخر؟»

أبقتهم هيما منتظرين حوالي نصف ساعة، تناولت أليكسا خلالها كأسين آخرين من الكوكتيل. تناولوا العشاء في مطعم قريب وهو مؤلف من السمك والكاري الحار جداً، وهذا جعلهم يحتاجون إلى

عدة زجاجات مرطبات محلية لتبريد الحرارة.

قال كيڤن ينصحها: «خذي، رشي قليلاً من مسحوق جوز الهند عليها لتخف حرارتها».

نظرت أليكسا إلى المائدات حيث السيلانيون يتناولون طعامهم بأصابعهم لأنهم لم يتعلموا استخدام الشوكة والسكين، ثم دفعت طبقها بعيداً:

ـ شكراً.. لن أستطيع تحمل المزيد.. يشتعل حلقي ناراً.

نظرت إليها هيما بازدراء:

ـ لا طعم لطعامكم الغربي.. يجب أن تستخدموا البهارات في طعامكم.

ردت أليكسا: «ما دمت قد ترعرعت على تناول هذا الكاري الحار فلا غرابة أن تجدي طعامنا خالياً من الطعم، بل أشك في أن عندك بقية باقية من حاسة الذوق.. فنحن لا نحتاج إلى إخفاء طعم السمك، أو اللحم النتن».

كان كيڤن على وشك تناول لقمة سمك، لكنه توقف.. ثم أنزل شوكته ودفع بطبقه..

ـ يا إلهي.. لا أظنني سآكل المزيد.

نظر إلى أليكسا ثم انفجرا معاً ضاحكين. طفقا يتبادلان الحديث عن أطباق مقرفة يعرفانها، غير عابئين بمتابعة الآخرين للطعام.. وعندما غادروا المطعم كانت أليكسا على حالها تضحك عاجزة.

قالت: «فلنذهب إلى مكان ما.. لا شك أن هناك ناد ليلي».

قالت هيما بنكد: «لا أريد الذهاب إلى ناد ليلي.. أرغب في العودة إلى المنزل.. فأنا متعبة بعد الرقص».

قال برايس متجهماً: «سنعود جميعاً.. هيا.. فالسيارة...»

نظرت أليكسا إليه تقاطعه:

ـ قلت إنني غير ذاهبة.

سألها برايس بغضب:

ـ وكيف تتوقعين العودة في وقت متأخر من الليل؟

ردت باختصار، وذقنها مرتفع تحدياً:

ـ سنتسأجر سيارة.. هذا إن فكرنا في العودة.

خطا بغضب نحوها: «أنت لا تعرفين ما تقولين».

ـ وإن يكن؟ ما شأنك أنت؟

مد برايس يده يمسك معصمها:

ـ ستفعلين ما قلته لك.

وبدأ يجرها إلى السيارة.

لف كيڤن ذراعه حول خصرها، وجرها في الاتجاه الآخر:

ـ هاي.. رويدك لحظة!

التفت برايس إلى كيڤن وعلى وجهه تقطيبة سمرته في مكانه.

ـ ابق بعيداً عن هذا.

ثم قال لأليكسا: «هل تأتين طوعاً أم أحملك؟»

لو كانت أليكسا في ظروف عادية لفكرت قبل أن تتكلم، ولترددت قبل أن يبلغ منها الغضب هذا المبلغ، ولكنها الآن غاضبة غضباً لا تهتم معه بأي شيء، فصاحت بأعلى صوتها غير عابئة بأحد:

ـ لا.. لست قادمة! سأذهب مع كيڤن..

شدت معصمها منه بقوة، ثم أشارت إلى السارنغ الذي يلبسه:

ـ لقد تحولت إلى شخص من أهل البلاد.. أليس كذلك؟ حسناً.. لماذا لا تنصرف أنت وفتاتك الصغيرة، وتتركني وشأني؟

التوى وجه برايس حنقاً، فخافت للحظات منه لأنها شعرت به سيقدم فعلاً على تنفيذ تهديده ولكنه ما لبث أن بدأ يشتم ويلعن ثم ارتدَّ على عقبيه متوجهاً إلى السيارة فتبعته هيما وعلى وجهها نظرة مخبولة

تبعث على الضحك.

كان كيڤن مذهولاً مثلها فسأل وهما يراقبان السيارة تنطلق بسرعة فائقة:

ـ لماذا كان هذا كله؟

تمتمت أليكسا بصوت أجوف:

ـ أنا.. لا أدري.. حقاً.

أحست فجأة بإرهاق شديد وكأن دمها توقف عن الجريان..

قال كيڤن: لم أعرف أنك وبرايس على علاقة قد تقودكما.. حسناً.. إلى الكراهية..

ردت بانكسار وعيناها تلاحقان السيارة:

ـ ماذا؟ آه! أجل نحن هكذا.. نحن.. لا يستطيع أحدنا تحمل الآخر.

نظر إليها كيڤن نظرة غريبة.. وكأنه يراها للمرة الأولى.

ـ من الأفضل أن نجد ذلك النادي الليلي.

* * *

www.liilas.com
Ami

٧ ـ سعادة قصيرة العمر

لكنهما لم يجدا نادياً ليلياً، وانتهى بهما المطاف إلى فندق وجدت فيه عدة رجال ممن التقت بهم أليكسا في نادي الخبراء. حياهما الجميع بصياح صاخب، ووجدت أليكسا نفسها محشورة في مقعد خشبي طويل.. كان الرجال يصخبون ويهزجون متبادلين نكاتٍ وأغنيات وأخباراً وغاصت براحة في هذا الجو.

تفرق جمعهم في الثالثة صباحاً.. واستعار كيڤن سيارة أحد الرجال ليعيدها إلى المنزل.

كانت متعبة بل مرهقة فكادت تترنح عندما حاولت السير فاضطر إلى مساعدتها.. ما إن جلس إلى جانبها حتى سقط رأسها على كتفه، ونامت.

ـ استيقظي أليكسا.. لقد وصلنا.

جلست ببطء، تفرك عنقها المتشنجة.

ـ أوصلنا حقاً؟

ـ أجل.. هل أنت بخير؟

تثاءبت فقد أفادها النوم:

ـ أجل.. وشكراً لأنك أعدتني إلى المنزل.. هل أراك غداً؟

أمسك كيڤن بمقود السيارة بشدة:

ـ وهل من جدوى؟

جعلتها نبرة صوته تنظر إليه بسرعة.. لا شك أن شجارها مع برايس كان مكشوفاً، وما كيڤن بأبله.

عضت شفتها، وأشاحت بوجهها:

ـ لا.. أنا آسفة.

سادت دقيقة صمت ثقيلة قبل أن يقول:

ـ حسناً.. تربحين شيئاً وتخسرين آخر.. لكنني رغبت في أن أربح معك.

مال إليها يقبل خدها:

ـ الأفضل أن تدخلي.. ما زال أمامي طريق طويل للعودة إلى المدينة.

ـ أنا آسفة كيڤن.

ولكنه ابتسم ابتسامة ملتوية، ومد يده يفتح لها الباب.

راقبته أليكسا يبتعد، ثم حاولت فتح الباب الذي لن يدهشها أن تجده مقفلاً، ولكنه انفتح بسهولة وهدوء حالما أدارت المقبض.

كان برايس بانتظارها في غرفة الجلوس جالساً في مقعد له مسندان، يدخن سيكارة على ضوء مصباح واحد. في المنفضة التي إلى جانبه كومة من أعقاب السكائر.. ولم يكن في يده كتاب أو صحيفة لقضاء الوقت.. كان جالساً هناك.. منتظراً.

عندما شاهدته أليكسا، هبّت أعصابها استعداداً للدفاع. وقالت وهو يقف:

ـ لا تقل شيئاً.. سأغادر المنزل في الصباح.

رد بحدة: «إلى أين؟ إلى موقع السد لتعيشي مع كيڤن؟»

ـ لا شأن لك مع من أذهب أو إلى أين؟

ومضت عيناه ببريق متوحش.. وتقدم إلى الأمام يمسك ذراعيها ويشدها بقسوة إليه.

ـ حسناً . . سأجعل ذلك شأني!

ضمها في لهيب من الغضب، يؤلمها عامداً متعمداً . . يجعلها تحس بقوته.

لوت رأسها من جانب إلى آخر، وحاولت خدشه بأظافرها. صاحت: «اتركني! اتركني أيها النذل!»

لكنه شد ذراعيها إلى الوراء وأمسك معصميها معاً بيد واحدة، مستخدماً اليد الأخرى ليشد شعرها إلى الوراء . . أسندها إليه وهو يرتجف غضباً. فغرت ثغرها ألماً، ونظرت إليه بغضب . . وكرهته كما لم تكره رجلاً قط . . بدأت تقاومه بوحشية لتمنعه من معانقتها. كان رأسها يرتج في محاولة عقيمة للخلاص . . ازدادت قبضته على شعرها حدة فشهقت ألماً، مع ذلك استمرت تركله وتتلوى، رغم علمها بأنها عاجزة أمامه.

أخيراً هدأت . . فرفع رأسه ينظر إليها. ما زال غضبه شديداً وهذا الغضب يسيل في جسمه كله ويُرى في تكشيرة وجهه. لكنه يعرف أنه انتصر، وبدا الانتصار في عينيه. تحركت أصابعه في شعرها يدير رأسها إليه . . ظلت مسترخية بين ذراعيه، وقد رحلت كل قواها . . بدا لها أن الزمن توقف، ربما أمسك بها هكذا منذ ساعة أو أكثر. لقد هجرها السمع والبصر. كانت تحس بأنها معلقة في نفق أسود طويل لا تشعر فيه إلا بقربه منها، وهذا ما حرك المشاعر في أعماقها.

تحركت مجدداً، إنما هذه المرة بشوق. فترك ذراعيها، لترتفعا طوعاً إلى عنقه، تتعلقان به بشدة، تريد أن تضيع بين ذراعيه.

انحنى يحملها ويتجه بها إلى غرفتها وهناك وضعها على سريرها ثم قال:

ـ أنت متعبة يا حبيبتي. نامي الآن.

ابتسم لها ابتسامة دافئة ثم قبل جبينها وابتعد عنها راضياً.

لم تشعر بأنه هجرها فهي تعلم أنه لم يتركها إلا ليحافظ عليها.

تهاوت على الفراش منهكة من السعادة. حاولت بيأس أن تبقى مستيقظة، ولكن الإرهاق جذبها معه إلى أعماق النوم.

كان الوقت متأخراً عندما استيقظت، فالشمس مرتفعة في كبد السماء. ظنت لبرهة أنها كانت تحلم لكنها شعرت بالكدمات التي تركتها ذراعيه القاسيتين على كتفيها. نهضت مسرعة من السرير، تريد أن تراه مجدداً. أن تعرف أنه قريب منها. بعد الاستحمام خرجت تفتش عن حبيبها.

ما إن خرجت إلى الشرفة حتى فاجأتها الشمس، فتوقفت، ترفع وجهها إليها لتنعم بحرارتها.

ـ هل ستبقين هناك؟

فتحت عينيها، فرأت برايس جالساً على أحد كراسي الحديقة الطويلة . . فشعرت بالخجل . . ولكنه مد لها يده، فهرعت إليه حيث جذبها إلى ركبتيه قائلاً:

ـ هل أنت بخير؟

هزت رأسها وهي تلقيه على كتفه:

ـ الوقت متأخر.

ـ أجل . . متأخر جداً على الفطور، يجب أن تنتظري الغداء.

ـ أوه . . يا الله! ولكنني جائعة . . قد آكلك من فرط جوعي.

وبدأت تعض كتفه . . فضحك يلكمها مازحاً. أمسكت يده وفتحت قبضته بلطف تشبك أصابعها بأصابعه، وتحس بقوتها وحجمها بالمقارنة مع يدها.

أحست أنها بحاجة إلى النظر إليه عن كثب لتحفظ في ذاكرتها صورته بدقة ولتعرفه كما تعرف نفسها.

سألها: «فيم تفكرين؟»

ـ أجل.

تحدثا قليلاً عن والدها، ثم نهضت وتركته يراجع بريده، في هذا الوقت راح الخادم يحضر مائدة الغداء. بعد الغداء، ركبا السيارة، وسلكا طريقاً لا يستخدمها السواح.. توقفا ليشتريا جوز الهند الكبير الحجم لقاء روبيتين من بائع متجول، ثقبها برايس بسكين جيب مطوية، وتشاركا في شرب مائها.

أوقف برايس السيارة في مكان بعيد عن الطريق، وسارا على طبقة عشب تكسو وادياً غارقاً بأشعة الشمس وتنمو فيه الزهور البرية بغزارة وتجري إليه السواقي من الجبال العالية.. وصلا إلى مكان فيه صخور مرتفعة تشكل شلالاً تحته بركة صغيرة.. هناك عانقها برايس، فتنهدت غبطة..

كان هذا بداية أيام من السعادة غير المحدودة.. وجدت أليكسا برايس رجلاً رائعاً، محباً، يسعى إلى إرضائها.

أمضيا ذات صباح في المكتبة يعملان على الكتاب حتى انتهى فوضبه بعناية في مغلف وأخذه إلى مركز البريد ليرسله إلى انكلترا.. ثم أمضيا وقتاً مع أبيها ولكنه بدا مشغول البال وشعرا بأنه يرغب أن يتركاه بمفرده في المنزل.. قال لها برايس إنه سأل إن كان بإمكانه استخدام الهاتف، ولكن لم يره أحد يتصل لذا افترضا أنه ينتظر حتى يبتعد الجميع عن طريقه.

سألت أليكسا: «هل أخبرك بمن يريد أن يتصل؟»

ـ لا.. لكنه سأل عن دليل هاتف الجزيرة.

ـ أمر غريب.. أتساءل عما يفعل؟

ولكن أليكسا لم تفكر في الأمر أكثر من دقائق، فحين أمسك برايس يدها وقادها إلى المدينة نسيت كل شيء.. مثلما نسيت أمر هيما. فالفتاة لم تكن هناك منذ عادت مع برايس من «كاندي»

ـ أفكر في أنني أريد معرفة كل ذرة فيك.

ـ حقاً..؟ وأي جزء تودين البدء به؟

قالت: «يدك تكفي.. على الأقل الآن».

اشتدت أصابعه على أصابعها، وجذبها إليه يعانقها مجدداً.. لم يع أي منهما وجود الخادم خلفهما حتى تنحنح بلياقة..

ـ لقد وصل البريد سيدي.

ـ حسناً، اتركه على الطاولة.

انسحب الخادم بالسرعة التي جاء فيها، واستوت أليكسا في جلستها..

ـ لقد رآنا..

ـ وهل تمانعين؟

نظرت إليه بدهشة: لا.. ولكنني ظننتك أنت ستمانع.

ـ لماذا؟

كادت تقول: بسبب هيما، ولكنها لن تفسد يومها بقول هذا..

سألت: «لماذا تركتني ليلة أمس وعدت إلى غرفتك؟»

ـ لتستريحي وتنالي قسطاً من الراحة..

ألقت رأسها على كتفه مجدداً:

ـ ما كنت لأحتج..

ابتسم وقبل طرف أنفها.

ـ كان والدك على الشرفة في وقت مبكر.. وبدا مشغول البال.

تنهدت:

ـ هناك ما يشغل باله منذ وصولنا إلى سيلان.

ـ ألم يخبرك ما الأمر؟

ـ لا.. فهو لم يفض لي يوماً بسرّه. نحن غير متقاربين.. لكنك تعرف هذا.

وافترضت أنه أمرها بالبقاء بعيدة. لكن بعد اليوم الأول من وفاقهما، لم تعد تفكر فيها. كانت تسبح في الفضاء، تعيش على غيمة وردية لذا لم تترك لفكرة بغيضة أمر تكدير سعادتها.

في أحد الأيام استيقظت باكراً لأنه قرّر أن ينطلقا باكراً إلى الجانب الشرقي من الجزيرة. وفعلاً انطلقا باكراً فوصلا إلى شواطىء طويلة ممتدة، ومهجورة تقريباً، قرب «ترينكومالي» حيث الظل الوحيد كان أشجار النخيل التي تنمو على أطراف الخط الساحلي.. تجاوز برايس ذلك الشاطىء القريب من الفنادق السياحية، حتى وجدا خليجاً صغيراً معزولاً. وراحت أليكسا تسبح في المياه الزرقاء الدافئة.

ثم استلقيا على منشفة كبيرة مستمتعين بأشعة الشمس. سألت حالمة: «هل سنبقى سعيدين هكذا».

ابتسم برايس ورفع نفسه على مرفقه: «أتريدين أن ترفرف هذه السعادة حولنا دائماً؟»

ردت من أعماق قلبها:

ـ أجل.. أوه.. أجل!

رد ببساطة: «إذن ستكون».

فكرت في ما قاله لحظات، ثم جلست تنظر إليه:

ـ كيف.. برايس؟ ماذا سنفعل عندما يشفى أبي ونضطر إلى مغادرة الجزيرة؟

عاد إلى الاستلقاء على ظهره:

ـ دعينا لا نقلق على هذا الآن. لماذا التفكير في المستقبل والحاضر رائع لنا؟

في الليلة التالية، تناولا العشاء في المنزل، ثم تمشيا في الحديقة.. عندما وصلا إلى شجرة الفتنة استند برايس إلى جذعها.

قال: «أتذكرين أول عناق لنا تحت هذه الشجرة.. يوم ذهبنا إلى

«سيغيريا» لرؤية «عذارى الغيم؟»

ـ طبعاً.. أردتك يائسة.. أكنت تريدني يومذاك؟

ـ هل أنت مجنونة، الله وحده يعرف أنك كنت تقوديني إلى الجنون.. كدت أقدم على ما لا تحمد عقباه! ولكنني لم أفعل لأنك صغيرة ولذا لم أرغب في استغلالك.. لم أكن حتى ذلك اليوم الذي اعترفت فيه بحبك مستعداً لمثل هذا الالتزام.

ـ ألهذا عرفتني إلى كيڤن؟

ـ أجل.. إنما، فيما بعد رحت أزداد غيرة كلما شاهدتكما أو فكرت في أنكما معاً وأخيراً لم أعد أحتمل. كانت الغيرة تمزقني إرباً إرباً.

ضحكت بسعادة، وعقدت ذراعيها حول عنقه.

في الصباح التالي عندما كان على وشك الخروج، تعلقت به:

ـ أرجوك.. ابق معي.

ـ لدي اجتماع مع المصرف في كولومبو.

ـ لماذا تخرج باكراً هكذا؟

ضحك: «يا امرأة لدي عمل».

ـ آه برايس، أحبك. وهل من خطأ في هذا؟

ـ خطأ؟ بالتأكيد لا.. يا فتاتي الحبيبة، أنت واحدة من مليون.. أنت امرأة يحلم بها الرجل طوال حياته، إن قلة من الرجال يحالفهم الحظ فيجدون امرأة مثلك جميلة، مثيرة، وذكية.

ثم نظر إلى ساعته:

ـ يا إلهي! انظري إلى الساعة! وداعاً الآن يا حبيبتي، أراك فيما بعد..

تمتمت: «إلى اللقاء إذن».

ابتسمت راضية، ثم دخلت لتنام بعدما سمعت سيارته تبتعد.

نامت حوالي ساعة، ثم استيقظت وهي تشعر بأنها على قمة العالم، نهضت من السرير، وبدأت تعد الساعات حتى عودة برايس.. ماذا سيفعلان اليوم؟ ربما سيذهبان إلى الحدائق النباتية الشهيرة في كاندي.. كان هذا ما وعدها به منذ مدة. ضحكت بسعادة ثم راحت تصفر لحناً سعيداً وهي تستحم. عادت إلى الغرفة ولكنها تسمرت مصعوقة عندما رأت هيما واقفة قرب السرير.

بعد لحظة ذهول، انفجرت أليكسا:

ـ ماذا تفعلين هنا؟ أخرجي من غرفتي حالاً!

لكن الفتاة لم ترد، بل وقفت تنظر إليها جامدة..

بعد لحظات طويلة، بدت فيها أليكسا عاجزة.. كسرت هيما الصمت بالقول بمرارة:

ـ إذن أصبح حبيبك.. ألهذا طلب مني عدم العودة إلى هنا.

ردت أليكسا بقلق: أنا آسفة، ولكننا متحابان، و..

قاطعتها ضحكة هيما الفظة:

ـ حب؟ أتظنينه يحبك؟ أيتها الإنكليزية البلهاء! أنت حقاً بلهاء.

صاحت أليكسا بشراسة: كيف تجرؤين على نعتي بهذا النعت؟ أخرجي من هنا.. أتسمعين.. أخرجي من هذا المنزل.

لكن الفتاة جابهتها بعناد:

ـ لا يمكنك إلقاء الأوامر عليّ أيتها الإنكليزية. فلست السيدة هنا، ولن تكوني أبداً.

ردت بغضب: ربما لم أصبح بعد. لكن بعدما نتزوج.. سا..

ضحكت هيما بكراهية:

ـ نتزوجان؟ أتظنين أنه ينوي الزواج بك؟

ردت أليكسا بلا تردد:

ـ أجل.. أجل.. سنتزوج.

ولكنها ارتدت أمام لهجة هيما الحقود.

ـ لن يتزوجك أبداً أيتها الإنكليزية.. وكيف يتزوجك.. ولديه زوجة؟

بدت الغرفة فجأة باردة، وراحت تتلاشى من حولها تلاشياً لم تستطع معه رؤية شيء غير وجه هيما المكشر الكريه..

قالت: «لا.. لا.. لا أصدقك».

ـ لا تصدقين؟ إذن سأبرهن لك.

سارت أمامها إلى غرفة برايس، غرفة لم تدخلها غير مرة. للحظات شعرت بأن برايس فيها. توجهت هيما رأساً إلى منضدة صغيرة وفتحت درجاً إلى اليمين. أخرجت رزمة رسائل، ورمتها إلى أليكسا: أنظري إلى عنوان المرسل: من السيدة غلوريا هندريكس.

قالت أليكسا وهي تكاد تقع أرضاً:

ـ ربما تكون من والدته.. أو زوجة أخيه..

ـ ليس له أم أو أخ.. ألا تعرفين هذا حتى الآن؟ أما زلت لا تصدقينني؟ تعالي، سأريك.

أمسكت معصم أليكسا في قبضة قاسية آلمتها، واقتادتها إلى المكتبة وهناك تقدمت إلى علبة ليست عليها أي إشارة، كان فيها ملف لم يسبق أن انتبهت إليه أليكسا من قبل.

ـ أنظري..

في الداخل بضع أوراق عليها ملاحظات قديمة وكتاب يضم بين جنباته قصاصات صحف، وكتاب مذكرات. أدارت هيما القصاصات، وتوقفت أمام صورة. وقالت بانتصار:

ـ هاك!

يعود تاريخ الصورة إلى سبع سنوات فيها يظهر برايس أصغر عمراً. كان يبتسم بسعادة لفتاة تقف قربه، فتاة نحيلة سوداء الشعر،

تضحك بشدة، وعيناها على الكاميرا. التعليق تحت الصورة يقول: «برايس هندريكس، الذي بيع من كتابه الأخير «طريق الجحيم» مليون نسخة. مع زوجته غلوريا، في حفل غداء «لنادي الأدباء» أقيم على شرفه».

بدا أن العالم تفجر وأصبح ضباباً رمادياً فاضطرت إلى تلمس طريقها من خلاله.. ولكنها بطريقة ما، وجدت نفسها في غرفتها بمفردها. جلست هناك في مقعد مدة طويلة، ثم وقفت مخدرة الحس، وراحت توضب حقيبتها.

كان رالف ويلموت جالساً قرب طاولة في غرفته عندما قرعت الباب ودخلت لرؤيته. كان أمامه عدة أوراق متناثرة، وخريطة للجزيرة.. رفع رأسه عابساً، ثم لاحظ وجهها الشاحب الأبيض:

- هل من خطب؟

- أجل.. أنا راحلة من هنا.

- لماذا؟

- لا يهم السبب. سأعود إلى انكلترا.

- لا، لا تفعلي أليكسا.. هناك ما أريد البوح به لك.. إنه يتعلق بالسبب الذي حملني على المجيء إلى هنا.

نظرت إليه بذهول، ثم سألت بغضب:

- تريد أن تخبرني هذا الآن؟ الآن؟ حسناً. أنا غير مهتمة.. سأعود إلى انكلترا.

نظر إليها ببؤس:

- أرجوك.. هل وقع شيء بينك وبين برايس؟ كنت أرى أنكما على وئام.

هزت رأسها: وأنا الآن أريد الابتعاد عن هنا.

- حسناً، إنما أرجوك، ابقي في سيلان فترة قصيرة فقط.. سأكون

على ما يرام بعد قليل فأغادر الجزيرة أيضاً. هناك ما عليَّ فعله، وهو أمر بدأت به منذ فترة وجيزة ولك بعد ذلك أن نعود معاً.. مع أن السفر يجب أن يكون بحراً.

- حسناً.. سأتصل بك عندما أجد مكاناً أقيم فيه.

أعطاها بعض المال فتركته بدون أن تتيح له فرصة إتمام ما يقول لها عن أسباب مجيئه إلى سيلان. وصل التاكسي الذي طلبته فغادرت المنزل بلا ضجة، وبدون أن تنظر إلى الوراء لترى أن هيما تراقبها منتصرة.. طلبت من السائق أن يقلها إلى «نيغوميو» على الساحل الغربي، وهي منطقة سياحية شهيرة جداً، فهناك قد تضيع بين الأوروبيين. كانت الطريق نفسها التي تقود إلى كولومبو.. بعد ساعة من السفر تعرفت إلى سيارة برايس القادمة من الجهة الأخرى، عائداً إلى المنزل. كان يقود بسرعة، وعلى وجهه اللهفة والترقب.

أخفضت رأسها حتى لا يراها.. كان ملهوفاً إلى العودة لذا لم يهتم بالتطلع إلى السيارات الأخرى. لكن، يا للمفاجأة التي تنتظره عندما يعرف بخبر رحيلها.. عليه أن يكتفي بفتاته السيلانية مرة أخرى حتى يصادف فتاة ساذجة غبية أخرى..

* * *

www.liilas.com

Ami

www.liilas.com

Ami

٨ ـ الشمس في ابتسامتك

بعدما حجزت أليكسا غرفة في أحد الفنادق السياحية خارج «نيغوميو» توجهت مباشرة إلى غرفتها. الطقس على الساحل أشد حرارة من الجبال ولكن الغرفة مكيفة، وباردة بشكل معقول، لم تهتم بإفراغ حقيبتها بل استلقت على السرير تحدق إلى السقف المطلي بالأبيض.. لا شك أنها كانت في غاية الغباوة ولكن لم يخطر ببالها، أن تتساءل عما إذا كان برايس متزوجاً.. فهو لم يتحدث مرة عن زوجة، أو عائلة.. هل لديه أولاد؟ لا.. لو كان لديه أولاد لكانت هيما عذبتها بهذا الخبر أيضاً.

آه! يا الله.. ما أشدَّ ما كانت بلهاء! أحبته بكل جوارحها. ولكن أكثر ما يؤلمها عدم صدقه معها، لماذا لم يخبرها بأنه متزوج؟ لقد اندفعت إليه بشوق، وثقة، متأكدة أن ما بينهما أقوى من أن يحطمه شيء. وها هي الآن تحس بأن ثقتها كانت في غير محلها. لقد آمنت أنها وبرايس سيتزوجان، بعدما يتعافى والدها. صحيح أنه لم يقل لها إنهما سيتزوجان بكلمات محددة ولكن لم يكن هناك داع للكلام، فقد كان ذلك جلياً في عينيه وفي كل تصرف من تصرفاته. لقد قال لها إن سعادتهما ستدوم إلى الأبد، ألم يكن يعني ذلك أنهما سيقضيان العمر معاً؟ لكنه لم يكن يعني ما يقول، بل كان يكذب ليجعلها متعلقة به.. ألقت رأسها على الوسادة وأجهشت بالبكاء..

ظلت في غرفتها طوال اليوم، ومعظم اليوم التالي، إما على الشرفة وإما على السرير.. ولكن ما إن حلَّ مساء اليوم التالي حتى بدأت تشعر بالدوار فأدركت أن عليها أن تخرج لتأكل شيئاً.

كانت الموائد المكسوة بقماش أحمر معدّة على شرفة مفتوحة، لا تبعد غير عشر ياردات عن الشاطىء وكان النسيم البارد يهب من جهة البحر. وأجبرت أليكسا نفسها على تناول الطعام. رأى السقاة أنها وحيدة، فحاولوا إقناعها بالذهاب إلى النادي الليلي الملحق بالفندق ذلك المساء. لكنها هزت رأسها رافضة بصمت، فتركوها وشأنها.

بعد الوجبة، عادت إلى غرفتها، التقطت الهاتف، ترددت لحظة، ثم طلبت رقم المنزل.. رد عليها برايس، فانخلع قلبها من مكانه فعجزت للحظات عديدة عن الكلام. أخيراً تمكنت من القول:

ـ رالف ويلموت.. أرجوك.

سأل بحدة: «أليكسا؟ هل هذه أنت؟»

ـ أريد التحدث إلى أبي.

ـ أليكسا أين أنت؟ يجب أن تخبريني!

انتحبت باكية فأعادت السماعة إلى مكانها، غير قادرة على تحمل المزيد.

حاولت الاتصال مجدداً بعد ساعة أو يزيد.. في هذه المرة رد عليها الخادم، فقالت:

ـ السيد ويلموت، أرجوك.

بعد انتظار قصير سمعت والدها يقول:

ـ آلو؟

ـ أنا أليكسا.. لقد حجزت في فندق قرب «نيغوميو».

ـ ما اسمه؟

ـ «الشاطىء البني».. إنما لا تخبر برايس.

ـ حسناً. إن كان هذا ما تريدين. هل أنت على ما يرام؟

ـ أجل.. وأنت؟

بدا عليه التعب:

ـ أتحسن.. اسمعي! برايس هنا، يريد محادثتك يريد أن يعرف سبب رحيلك.. فأنت لم تتركي له رسالة، أو أي توضيح قبل ذهابك.

ـ لا.. لا أريد التحدث إليه.

ـ ولكنك مدينة له بالشرح.

ردت بحقد: «لا! أنا لا أدين له بشيء!»

ـ لكنه كان في غاية اللطف معنا، ولا ضرورة إلى تذكيرك بهذا.. ألن تكلميه على الأقل، لتذكري له سبب رحيلك.

ـ لا.. لن أكلمه. ولكن بإمكانك.. بإمكانك أن تسأله كيف حال زوجته.

وأقفلت السماعة ويداها ترتعشان ارتعاشاً جعل السماعة تقع من يدها.

أمضت أليكسا الأيام الطويلة الحارة، قريبة من الفندق.. لا تغادره إلا للتنزه بمفردها على الشاطىء الذهبي الممتد إلى ما لا نهاية. وكانت في معظم الأيام تخرج إلى المسبح لتسبح، ولتتشمس حتى أصبحت بشرتها قاتمة، أما شعرها فكان يتحول إلى لون ذهبي فاتح.. كان أحياناً أحد الرجال يحاول التحرش بها ولكنه عندما ينظر إلى البؤس في عينيها يعرف أن ما يفعله ميؤوس منه، فيرتد مبتعداً.

في نهاية الأسبوع، شاهدت وجهين تعرفهما، صديقان لكيڤن من نادي الخبراء ولكنها تمكنت من تجنبهما..

كانت كل يوم تتوقع المخابرة الموعودة من أبيها. ومع مرور الأيام، بدأت تتساءل عما إذا كان يجد صعوبة في إنهاء العمل الذي أخبرها عنه. الآن تمنت لو أصغت إليه عندما أراد أن يبوح لها بسره.

غالباً ما كانت عيناها تتجهان إلى الهاتف، متسائلة عما إذا كان عليها الاتصال به مرة أخرى.. لكنها تخشى أن يرد برايس، لذا كانت تتخلى في كل مرة عن الفكرة وتعد نفسها بأنه سيتصل قريباً.

في إحدى الأمسيات، في الساعة التاسعة، سمعت قرعاً على بابها. كانت قد تناولت العشاء، وجلست على الشرفة مغمضة العينين، تصغي إلى هدير الأمواج، التي تعلوها موسيقى تصدح لمن تبقى من الزائرين على الشرفة. كانت ترتدي فستاناً فيروزياً مقفل الياقة، طويل التنورة.. ليس لأنها اختارت ارتداءه بل لأنه أول ما وصل إلى يديها. سمعت قرعاً على الباب فنهضت على كراهية لترد.. وفي اعتقادها أن إحدى الخادمات جاءت لترش الغرفة بمبيد الحشرات كالعادة كل ليلة.. فتحت المزلاج، وفتحت الباب، وبدأت تقول:

ـ حسناً.. بإمكانك..

ثم صمتت وقد سمرتها الصدمة.

وقف برايس بالباب، وعلى وجهه نظرة قاسية.. أخيراً استردت وعيها فتحركت لتفسح له المجال ليدخل إلى الغرفة، دخل ثم أغلق الباب بقوة خلفه.

ـ ماذا.. ماذا تريد؟ ليس لدينا ما نقوله.

كانت يداها مرتعشتين إلى درجة اضطرت معها إلى القبض عليهما بشدة وكم أملت ألا يلاحظ حركتها.

قال لها متجهماً: «على العكس تماماً.. لدي أمور كثيرة أقولها لك، إنما على هذا أن ينتظر الآن. أخشى أنني قد أحمل إليك أخباراً سيئة».

رأت أليكسا في وجهه مزيجاً من الجد والشفقة.

ـ أخبار سيئة؟

وسرعان ما عرفت أن والدها توفاه الله..

- آه!

لم تستطع لبرهة استيعاب الخبر، ثم قالت بلهجة احتجاج:

- ولكنه كان يتحسن! قال إنه سرعان ما سيكون قادراً على السفر إلى الوطن.

- هذا صحيح.. ولكنه بالأمس أراد مني أن أصحبه.. أراد أن يقوم بأمر قبل سفره.. أمر يقتضي مسيرة طويلة بالسيارة. لم أكن أريد أن أفعل، لكنه أصرّ.. كان على ما يرام، أو هكذا بدا لي. لكن، في المساء، تعرض لنوبة قلبية أخرى ومات باكراً هذا الصباح.

جلست أليكسا ببطء على السرير:

- وهل فعل ما يريد؟

- أجل.

- أنا سعيدة لهذا.

جلست صامتة عدة دقائق، أما هو فوقف ينظر إليها، ثم قال:

- الجنازة غداً.

- بهذه السرعة؟

ثم تذكرت أن على الجنازات في مثل هذا الطقس أن تتم بسرعة.. فحاولت لملمة شتات نفسها:

- أجل.. بالتأكيد.. أين؟

- في نوار ايليا.. هناك مدفن بروتستانتي..

نظر إليها لحظة، ثم أجال بصره في الغرفة:

- هل أساعدك في توضيب ثيابك؟

نظرت إليه ببلاهة.. لم ينسها الخبر المفجع سبب تواجدها هنا.

- لكنك قلت إن الجنازة غداً.

- أجل.. إنما سأصطحبك الآن.. لن يكون لديك الوقت الكافي للسفر في الغد.

تقدم إلى الخزانة، فتناول منها حقيبة وضعها على السرير الآخر، ثم بدأ يضع فيها بعض أغراضها.

- انتظر.. أستطيع القيام بهذا بنفسي.

ولكنه أصرّ على مساعدتها، وقبل أن تحس بمرور الوقت، كانت أمام مكتب الاستقبال تسدد الفاتورة وتخرج.

أدركت في أثناء رحلة العودة أن برايس تعمد استعجالها، دون أن يمهلها الوقت للتفكير، لكنها الآن مضطرة لمواجهة انفرادها به في المنزل مرة أخرى.. إلا إذا..

التفتت إليه: «أما زالت.. هيما، تقيم معك؟»

- لا.. فقد ذهبت إلى شقيقتها لتعيش هناك إلى الأبد.

- تعني.. أنها لن تعود؟

- لن تعود.. كما أنها لم تكن تقيم معي.. بالمعنى الذي تقصدين.

صمت كلاهما عدة أميال حتى قالت أخيراً بصعوبة:

- أراد والدي أن يخبرني عن سبب مجيئه إلى هنا. ولكنني لم أهتم بما يقوله في ذلك الوقت.. فهل ذكر لك الأسباب؟

- أجل.. ذكرها لي. أظن أن من الأفضل أن أترك الشرح حتى الغد.. فالأمر معقد قليلاً.

- حسناً.

ران الصمت من جديد.. لكنه صمت يشوبه القلق.. لقد كانا على مقربة شديدة من بعضهما بعضاً ولكنهما في الوقت نفسه بعيدين، ولم يرد أي منهما أن يتكلم عما حدث لئلا يطلق سيل الكلمات والمشاعر التي قد تعقب ذلك. فما الآن بالوقت أو المكان المناسبين..

عندما وصلا إلى المنزل، فتح لهما الخادم الباب، وحياها باحترام

وتعاطف حار.. فشعرت بأنها تكاد تجهش بالبكاء. تناول حقائبها من السيارة وحملها إلى غرفتها القديمة.. فتحت أليكسا فمها لتحتج، لكنها أدركت أن لا بديل آخر.. كان برايس ينظر إليها متسائلاً، فارتدت بسرعة ودخلت إلى غرفة الجلوس، فلحق بها وأغلق الباب وراءه.

ـ أتودين شراباً؟

هزت رأسها نفياً، وتقدمت تجلس في مقعد. كانت يداها مضمومتين بشدة في حجرها.

ـ أما زال أبي هنا؟

ـ لا.. لقد نقلناه إلى «نوارا ايليا».. أتريدين إلقاء نظرة عليه قبل الجنازة؟

ـ لا.. لا..

تذكرت أنها ذهبت لرؤية أمها بعد وفاتها، ومنذ ذاك الحين لم تعد تتذكرها وهي حية.

جلس قبالتها قاتم الوجه.

ـ حسناً.. هل من شيء آخر تريدين معرفته؟

ـ هل أخبرك بمكان إقامتي؟

ـ أجل.. توسلت إليه حتى يخبرني لكنه رفض.. ولكنه بعد النوبة القلبية، وبعد معرفته بأنه لن يعود إلى انكلترا أبداً.. أخبرني.

جعلتها المرارة في صوته، تنظر إليه بسرعة. لكن عينيه كانتا مثبتتين عليها، فأشاحت بصرها مجدداً، خافقة القلب.. ما دام قد توسل لأبيها ليخبره بمكانها فهذا يعني أنه كان يائساً لرؤيتها. ابتلعت ريقها وغيرت الموضوع:

ـ قلت إنه ذكر لك سبب مجيئه إلى هنا؟

ـ أجل.. هل أخبرتك أمك يوماً لماذا تركته؟

رفعت رأسها بدهشة.

ـ هي لم تتركه.. لم تستطع تحمل الطقس هنا.

ـ هذا ما قيل لك في ذلك الوقت.. لكن.. بناء على قول والدك ما تقولينه غير الحقيقة.

ـ ماذا تعني..؟ ما هو السبب إذن؟

ـ كان لوالدك علاقة مع فتاة سيلانية.. ابنة أحد العمال في مزرعة الشاي.. دامت العلاقة بعض الوقت، وكانت علاقة جادة لذا طلب الطلاق من أمك التي رفضت. حاولت فسخ علاقته بالفتاة، وعندما لم تفلح، أرسلتك إلى انكلترا، ثم لحقت بك.. اعترف والدك أن كل شيء كان غلطته.. ولكنه كان مسحوراً بالفتاة.. و..

صمت قليلاً، ثم أضاف ببطء وعيناه على وجهها.

ـ ثمرة هذه العلاقة ولدان.

وقفت ساخطة:

ـ ولدان؟ لا أصدق! لماذا لم تخبرني أمي هذا؟

ـ ربما لأنها لم تكن تعرف.. وأظنهما ولدا بعد رحيلها. لكن أمهما ماتت، فرباهما شقيقها، وتبناهما.

ـ أتعني أنهما هنا.. في سيلان؟

ـ أجل.. لقد اضطر والدك للمغادرة بعد تأميم مزارع الشاي.. وكان يرسل لهما المال من وقت إلى آخر.. ولكن العائلة نقلت مكان سكنها ففقد الاتصال بهما.. ولهذا أراد العودة. أراد أن يبحث عنهما ليضمن مستقبلهما.

ـ فهمت.. وهل وجدهما؟

ـ أجل.. اتصل بأناس كانوا يعرفون الفتاة، وبفضل مساعدتهم وجد الولدين.. ثم رتب مع محاميه الوضع ليخصص لهما بعض المال.. لقد أخذته بالأمس لرؤيتهما.

ـ أيعرفان أنه أبوهما؟

هز رأسه: «لا.. كانت رغبته ألا يعرفا أبداً».

ـ لا أفهم لماذا أحضرني معه؟

وقف برايس ليصب كوب عصير..

ـ كانت التسوية جزءاً من الوصية.. وبما أنك وريثته الوحيدة فلا بد أن تعرفي الأمر. وذلك يعني أن ما سترثينه أقل مما يجب. أراد أن يشرح لك السبب.. وأظنه اعتقد أنه قادر على الشرح إن جئت إلى هنا فرأيت بأم عينك فقر الناس هنا.

ـ أكان يخشى أن أعترض؟

هز كتفيه: «لا أدري. أظنه أراد أن يكون كل شيء منظماً قبل موته».

ـ لكن سفره إلى سيلان قتله. لماذا لم يخبرني بذلك منذ البداية؟

ـ ربما خاف أن تكون ردة فعلك كردة فعل أمك، فترفضين أن يكون لك شأن معه.

ـ صحيح؟ يدهشني أن يزعج نفسه بالتفكير فيّ، في وقت كان يحب فيه عائلته الأخرى.

ـ لكنه كان يحبك، ولولا ذلك لما بقي مع أمك طويلاً. أخبرني أن زواجهما كان تعساً منذ البداية. صدقي.. أن لا جدوى من التمسك بزواج يتهاوى.

وكان في صوته رنة غريبة.. فقالت بتعاسة:

ـ لماذا لم يحاول رؤيتي أو مراسلتي؟

ـ لقد أراد ذلك، لكن أمك لم تسمح له.. ثم، بعد وفاتها، تولت خالتك أمرك. وكنت باردة معه وبعيدة عنه، فظن أنه خسرك.. ربما أمل أن تتعارفا مرة أخرى في أثناء تواجدكما هنا.

ضحكت: «أمر سخيف! لقد رأيت طريقته في معاملتي. لم

يحاول قط أن.. أن يعرض المصالحة، بل على العكس، كان جلفاً معي دائماً».

ـ ربما لم يكن يعرف كيف يتصرف.. كان رجلاً متكبراً، فخوراً، أليكسا.. ربما كان بحاجة إلى بعض المساعدة منك.

انتفضت ثم وضعت الكوب من يدها:

ـ يبدو أنك بت على معرفة وثيقة به.

ـ أجل.. بعد هروبك أمضينا وقتاً طويلاً معاً.. هذا عندما لم أكن أفتش عنك. في كل بلدة وفي كل فندق أتوقع أن تكوني فيه.

شحب وجه أليكسا.. ووقفت. فسارع إلى وضع يده تحت مرفقها ولكنها جذبت ذراعها منه بحدة، وقالت بغضب:

ـ لا تلمسني!

اكفهر وجهه فظنت لبرهة أنه سيكمل الموضوع، لكنه ارتد خطوة، وقال باقتضاب:

ـ أنت متعبة.. سنتحدث غداً.

نظرت إلى وجهه.. فجأة تهاوت كل دفاعاتها، فأطرقت، وذهبت إلى غرفتها. لكن، الدخول إلى غرفتها أعاد إليها الذكريات. اغتسلت، غيرت ثيابها ثم ارتدت البيجاما، ولكنها احتاجت إلى إرادة قوية لتنام. عندما استلقت هناك، صرخ قلبها شوقاً إلى برايس الذي لا يبعد عنها غير خطوات قليلة فكان أن بقيت مستيقظة حتى وقت متأخر من الليل.

ما أدهش أليكسا أن تجد الكثير من الناس في الجنازة.. لقد عرّف عدد كبير منهم نفسهم على أنه صديق لوالدها منذ عهد مزرعة الشاي.. فاعتقدت أن والدها اتصل بهؤلاء طلباً للمساعدة في إيجاد عائلته الأخرى.. كلهم قالوا لها إن جميع معارفه يتذكرونها في طفولتها فتأثرت كثيراً. عاد الجميع إلى المنزل فيما بعد للغداء، ولأن العديد منهم يعرف من هو برايس ظلّ مشغولاً في الرد على أسئلة تتعلق بعمله.

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما غادر آخر ضيف. صافحتهم أليكسا بأدب، وراقبت سياراتهم حتى خرجت من البوابة، ثم تنفست الصعداء، وارتدت إلى المنزل مسرعة.

- أليكسا!

ناداها برايس ولكنها لم تهتم، بل توجهت إلى غرفتها، تقفل الباب وراءها وهناك خلعت الثوب الأسود وارتدت قميصاً قصير الأكمام وسروالاً من الجينز. ثم وضبت أغراضها وأقفلت الحقائب وبعد ذلك تقدمت إلى الباب تدير المفتاح بيد مرتعشة.

كان بانتظارها ولكنها كانت تعلم أن لا سبيل للرحيل قبل مواجهته. ما إن ألقى نظرة على ملابسها، وحقائبها، حتى اشتعل غضباً.

- إلى أين تظنين أنك ذاهبة؟

- إلى بلادي.. انكلترا.

- لن تذهبي إلى أي مكان.. فما زال أمامنا كلام كثير.

- ليس بيننا ما يقال. هل لي أن أستخدم الهاتف لاستدعاء سيارة أجرة؟

- لا.. لن تستخدميه.

- حسناً.. سأذهب سيراً على الأقدام.

انحنت لتلتقط حقيبتيها ولكنه انتزعهما منها لاعناً.. ثم أمسك معصميها، وجرها خلفه من المنزل إلى الحديقة، فكاد يوقعها على الدرجات.

- توقف! دعني!

لكنه تابع سيره حتى أصبحا بعيدين عن المنزل. وهناك أدارها لتواجهه.

- والآن، هلا أخبرتني لماذا هربت حتى بدون أن تزعجي نفسك

بترك رسالة؟

حاولت تحرير معصمها من قبضته الشديدة:

- تعرف السبب نعم المعرفة.. لأنك متزوج!

- لأن هيما أخبرتك أنني كنت متزوجاً.

توقفت عن المقاومة..

- ماذا تعني؟ لقد أرتني صورتك مع زوجتك.

- مع زوجتي السابقة.. لقد تطلقنا منذ ما يزيد عن السنة.

- تطلقتما؟

- أجل.

أحست برأسها يدور.. حركت يدها، فتركها، ارتدت على عقبيها تهرع إلى المنزل.

- إلى أين؟

- قلت لك.. إلى انكلترا.

لحق بها ووقف في وجهها.

- لكن لماذا؟ بعدما قلته لك؟

- لا فرق لما قلته بالنسبة لي.. أنت لم تكن صادقاً معي. ظننت أن كل شيء بيننا واضح وصريح ورائع وأن لا أسرار بيننا.. لم أخف شيئاً عنك.. أما أنت فكنت طوال الوقت..

أمسك كتفيها، يتكلم بإلحاح:

- اسمعي أليكسا.. ما بيننا حب رائع لذا لم أرد إفساده. أردت أن يدوم رائعاً أطول مدة ممكنة.. حسناً.. ربما كانت أنانية مني.. عشت سابقاً عيشة مرة ولكن ما بيننا كان نعمة عظيمة حتى..

جرت الدموع على وجهها، وحاولت ضربه:

- توقف عن هذا! لا أريد سماع المزيد. لا أصدق كلمة مما تقول. أراهن أنك طوال الوقت كنت تقارنني بها.. أهي أجمل أو

أفضل مني؟

ـ يا حبي.. يا حلوتي.. يا بلهائي الحبيبة!

حاول ضمها ولكنها لم تتركه يفعل.

ـ لا تنعتني بهذه الصفات، أنت لا تحبني.. لم أسمعك تقول إنك تحبني.

ـ هذا غير صحيح.. قلت لك ذلك مراراً.

توقفت مجدداً عن المقاومة:

ـ فقط عندما أكون بين ذراعيك.. أعتقد أن لا معنى لذلك.

برزت نظرة مرح في عينيه الرماديتين:

ـ أهذا ما تظنين؟ أنت على خطأ جسيم.

وضع يديه على جانبي وجهها المتورد، وقال:

ـ أحبك أليكسا.. بكل جوارحي وأريد الزواج بك، لقد أردت ذلك منذ لقائنا الأول.. أعترف أنني في البداية لم أكن واثقاً من رغبتي في تكرار تجربة الزواج ثانية لأنك صغيرة جداً.. ولأنني فشلت مرة ترسّب في نفسي الخوف من الفشل مجدداً. ولكنني أحببتك، وأردتك ثم اكتشفت أن ما بيننا شيء مميز. شيء لم أرغب في إفساده.. ولهذا امتنعت عن إخبارك.

أحست بجسدها يرتعش: «آه! برايس».

ورمت نفسها بين ذراعيه:

ـ أيها الأبله الكبير! إن لم تعانقني فوراً فقدت عقلي.

أطاعها بشوق وحرارة، لم يترك لها أي مجال للشك بمشاعره.

بعدما جفف دموعها، وأعاد إلى بشرتها اللون الوردي، جلس على العشب وظهره إلى جذع شجرة، ثم جذبها لتجلس معه.. فقالت بصوت منخفض:

ـ حدثني عن زوجتك. هذه المرة فقط ولك ألا أعود إلى ذكرها

ثانية.

ـ هي القصة العادية.. تزوجنا ونحن في ريعان الشباب. كنت أنهيت دراستي الجامعية ورحت أعمل في وظيفة ذات مستقبل باهر، تحتاج إلى علاقات اجتماعية متينة. لكنني سرعان ما تخليت عنها من أجل الكتابة فلم يعجبها هذا، ولم يعجبها ما أكسبه من قروش قليلة. تشاجرنا كثيراً. لم تكن تخرج لتعمل لذا حوّلت المنزل ساحة نكد فلم أستطع الكتابة. أخيراً افترقنا. عدنا فتصالحنا بعد أن نال كتاباي الأولان أفضل المبيعات ولكنها رفضت السفر معي عندما أردت إجراء بعض الأبحاث، كانت تقبل دائماً دعوات موجهة لي لإلقاء محاضرات وحفلات أدبية، فيما أكون مشغولاً بالكتابة، هكذا انفصلنا من جديد وعاش كل منا بمفرده مدة سنتين حتى يصبح طلاقنا مبرراً. إن هذا أحد أسباب مجيئي إلى هنا.. انفصام عرى زواج أشبه بالجحيم. عندما يخرج منه المرء يشعر بأنه طاعن في السن مرهق فيشعر بأنه لا يريد تكرار تلك التجربة.. ولكن..

داعبت أصابعه خصل شعرها:

ـ جاءت فتاة في ابتسامتها الشمس وفي شعرها الذهب فردتني فجأة إلى الحياة.

مدت أليكسا اصبعها تتحسس خطوط وجهه، ورأت ظلال الألم الماضي في عينيه.

قالت: «أنا آسفة لأنني هربت.. ولكن عندما نقع في الحب نفقد القدرة على التفكير في عقلانية.. وأنت.. أنت شديد الحساسية».

ـ أتظنين أنني لا أعرف هذا؟

التفت ذراعاها حول عنقه: «آه! برايس..»

وتعانقا فترة طويلة ثم مر شيء ما بذراعها فرفعت رأسها، ثم ضحكت سعادة:

- هاي . . أتدري أي شجرة نجلس تحتها؟

رفع نظره إلى الأعلى فرأى زهور الفتنة البيضاء تلمع كاللؤلؤ تحت أشعة الشمس، فضحك:

- يا للصدفة!

ابتسمت له وفي عينيها بريق الحب والسعادة ثم استسلمت لعناقه بشغف.

* * *

Ami
www.liilas.com